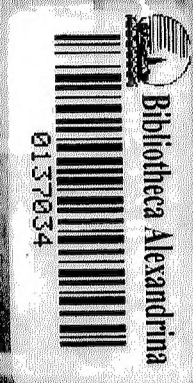
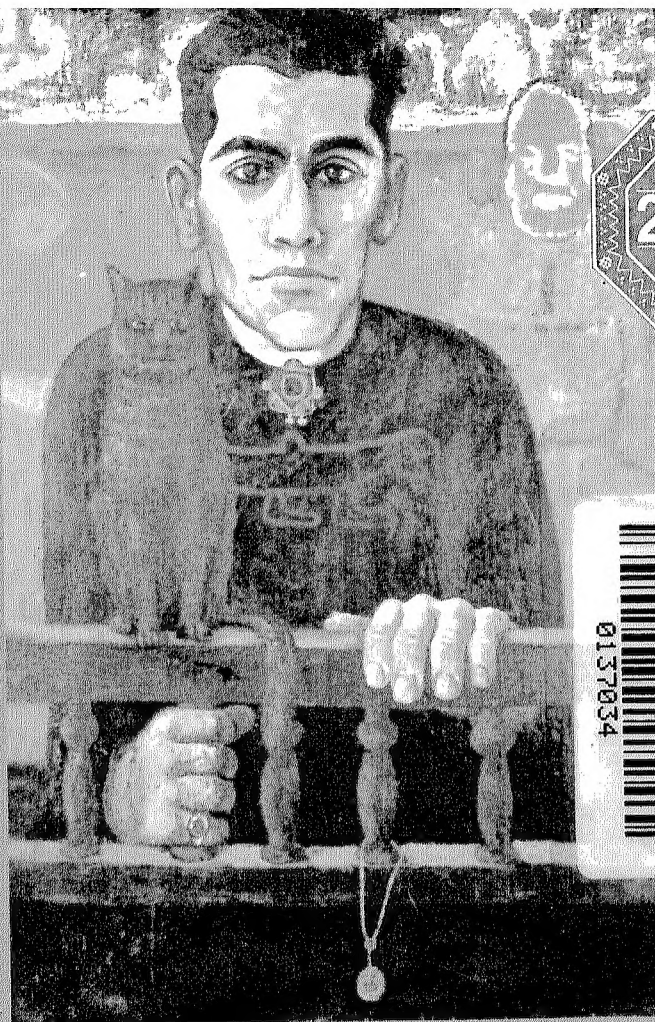


مكتبة الأسرة 2000

أخاف مخيف



قصص
قصيرة

الرجل المناسب



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

الرجل المناسب

لوحة الغلاف

اسم العمل الفني: الرجل والقط التقنية: زيت على أبلاكاش

مقاس العمل: ٣٩ × ٧٢,٥ سم رقم السجل: ٣٠٥٤

عبد الهادي الجزار (١٩٢٥ - ١٩٦٦)

فنان بارز في طليعة المجموعة التي شكلت جماعة الفن المعاصر تحت رعاية حسين يوسف أمين في النصف الثاني من الأربعينات ، وهو مصور ورسام وشاعر ذو حس سياسي واجتماعي سوريالى الطابع وضعه في مصاف الرواد في حركة الفن المصري الحديث، إذ جعل موضوعات الصورة كاشفة لتلك القوى الروحية الكامنة في الغيبيات السردية بين العوام وفي قصص البطولات الشعبية، والملاحم الريفية مما أكسب لوحاته حضورا لاينسى لدى المتلقى . وإننا لنشاهد لوحته العملاقة «السد العالي» أو «الميثاق» فنجدهما خليقتين بصورتين فذتين كونهما استطاعا اجتياز السياسي والاجتماعي إلى فضاء الفن الخالص . وأما لوحته الشهيرة التي تعرض فئراننا تدخل في الدماغ الآدمية لهو تعبير مروع للتوحش والهيمنة استطاع الجزار أن يجعله بارزا في رسالته كلوحات جويا الشهيرة.

قطاع الفنون التشكيلية

الرجل المناسب

فتحي غانم



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠ مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

الرجل المناسب

فتحى غانم

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سمير سرحان

أنت تجر جر أذيالها

أفلت من السيارات المتشابكة الصارخة الزاعقة بأبواقها
في شوارع القاهرة • أفاق من كابوس الزحام ، وانطلق بسيارته
الفيات الجديدة مخترقا الطريق الزراعي ، متجها الى
الاسكندرية •

كانت الساعة السابعة صباحا ، وحرارة الشمس التي تطل
من السماء على يمينه تنبئ بقيظ غير عادي ، فأضاف الى نشوته
بالقيادة السريعة نشوة السرور بالهرب من لهيب القيظ الذي
سوف يشوى أجساد الباقين في القاهرة • الصيف يقترب ، ولكنه
لا يستطيع أن يتخفف من ملابسه في هذه الفترة بالذات ،
لأن موجات البرد ما زالت مختبئة هنا وهناك ، وهذا القيظ
الطارئ هو نوع من المكيدة التي تغريه بخلع ملابسه ليطمئه

البرد طعنة غادرة • هذا هو ما حدث له في العام الماضي ،
فأصابته الحمى ولازم الفراش ثلاثة أسابيع انقطع فيها عن
محاضراته الأخيرة في الجامعة ، وافتقدوه في اللجان الاستشارية
للإعلام ، واجتماعات المجلس الأعلى للثقافة ، وكاد يفقد الكثير
من رصيده الضخم كصوت بارز له أهميته وشخصيته تتجه
إليها الأنظار كلما فكروا في اقتراحات أو توصيات جديدة تعلنها
الحكومة في سياسة الثقافة والإعلام ، ما أكثر المكائد التي
تربص بالإنسان بعد الخمسين ، ولكنه على أى حال أفلت من
أعظم هذه المكائد وأخطرها • ألم يفلت من قيود الزواج ؟ انه
حر طليق ليس مسئولاً عن أحد إلا نفسه • الأستاذ الدكتور
الأعزب • الرجل الوحيد كما يقولون هو أقوى إنسان في
العالم • لا زوجة تنقص عليه حياته ، زوجة ثرثرة ، أو زوجة
مسرفة ، أو زوجة شريرة تطعنه في شرفه وتخونه ، أو زوجة
تكبله بأولاد فاسدين لأنه لا يخرج من صلب العالم إلا نسل
فاسد •

لقد نجا من هذا الكمين الذي يقع فيه الناس ، الأغبياء
الحققي ، الذين يلقون بأنفسهم في ورطة الأولاد ، يكفيه من
الأولاد طلبته في الجامعة « أولادى الطلبة » ما أسخف هذا
التعليم الجامعى الذى يفترض أن الفلسفة تدرس لمئات من الطلبة
كل عام ، كأن الحكمة متاع رخيص مشباع ، ومع ذلك فهو يؤدي

واجبه ويقدم أعظم دروس في الفلسفة عرفتھا الجامعات في الشرق الأوسط • الكل يشهد بذلك • الجميع يعترفون بأن محاضرات الأستاذ « جميل برهان » هي حدث باهر في تاريخ الفكر العربي المعاصر •

انه الفكر الذي فرض وجوده بقوة وعن جدارة في الحياة الثقافية • شهرته عبرت قاعات المحاضرات بالجامعة الى صفحات الصحف وموجات الاذاعة وشاشات التليفزيون • انهم يتحدثون عنه كأسطورة مضيئة ، ظاهرة لن تتكرر قبل مائة عام في عالم الفكر والثقافة ، لقد تعددت ألقابه ، فهو الأستاذ ، وهو الراهب ، وهو الفيلسوف ، وهو المعلم ، وهو الرائد الذي أعاد صياغة التراث وطوره ، مستعينا بأحدث الاتجاهات الفلسفية في العالم المعاصر • لقد شق طريقه في حياة مجتمع مظلم ، وأشرق على الناس كهذه الشمس الساطعة في كبد السماء • ولكنها كانت رحلة مضيئة مريرة من القاع الى القمة ، من درب عجوة الى الطابق الرابع والعشرين المطل على النيل • أو الطابق الثامن المطل على البحر في الاسكندرية ، حيث يستجهم ويريح أعصابه المرهقة في عطلة نهاية الأسبوع •

لو كان تزوج فاطمة بنت الأسطى برعى فور تخرجه من الجامعة لدفن نفسه حيا في قاع المدينة ، كان يظن أنه عاجز عن

اتخاذ قرار الزواج ، ولكنه يعرف الآن لماذا رفض ، الاجابة واضحة الآن ، فظواهر كثيرة تؤكد أنه مرشح للوزارة في التعديل الوزاري القادم . وزارة الثقافة ، أو وزارة التعليم العالي ، أو ربما وزارة البحث العلمى . انه يفضل وزارة الثقافة مع ضمها الى الاعلام . أن الأوان ليبنى ثمار كفاحه ، لم يعد هناك مجال للشك في قدراته أو شعبيته ، ندواته في التلفزيون عن السلوك الدينى والأخلاق ، ونظرياته في نهوض الأمم وتحللها على أسس وقواعد السلوك الفردى والاجتماعى جذبت انتباه الناس ، وفشرت لهم الكثير من مشاكل حياتهم الخاصة والعامة .

دفاعه عن الأسرة والتشريعات التى يقترحها لحماية الزواج من الأضرار التى تنجم عن عمل الزوجة الأم لاقت استحسانا كبيرا فى أوساط كثيرة . ان لديه مشاريع رائعة حول وسائل مخاطبة الرأى العام وطرق التأثير عليه . آه لو تحقق الحلم وأصبحت له الكلمة فيما يذاع على الجماهير .

كانت الحقول ممتدة على جانبى الطريق تفتح المجال بلا حدود أمام خياله وطموحه الذى انطلق بلا عبات . فالرؤية سهلة واضحة ، والسماء خالية من السحب ، والأشجار قصيرة متفرقة لا تحجب شيئا . انها مجرد اضافات لتجميل المنظر ، والبيوت من الطين مخفية وراء الحقول ، لا تزعج المنظر ،

ولا تعلن عن وجود مجتمع يتحدى هذا الامتداد الرحب أو يعوق
النظرات التي تخترقه الى ما بعد الأفق •

كل الأشكال من حوله أفقية منبسطة أو عمودية قليلة
الارتفاع • لا التواءات ، ولا جبال ، ولا هضاب ، كل شيء
واضح سهل في هذا البلد ، وهو لا يعنيه كثيرا ما يراه ، فالمنظر
يتكرر لسنوات وهو يقطع الطريق الى الاسكندرية منذ أصبح
له بيت فيها • منظر رتيب يمرق فيه كالسهم ، واثقا من سيارته ،
مطمئنا الى قوة محركها ، ومع ذلك فهو يعيد تأمل ما يراه •
ربما لأنه يفكر في منصب الوزارة ، وينتهي نفسيا للقب الوزير
الدكتور في هذه البلاد • نفس الحقول والأشجار والأفق
المنبسط والقرى الصغيرة المخفية وسط الحقول ، يعرفها
بحواسه ، ويعرفها بحكم المسؤولية التي سوف يتحملها جميل
برهان ابن الأسطي برهان الحلاق ، حفيد الأسطي جميل الحلاق •

الحلاق أنجب وزيرا ، ربما ما زالوا يعرفون في الريف حتى
اليوم أهمية الحلاق • ولكن في القاهرة الأمر يختلف تماما ،
من حسن حظه أن أباه مات وهو صغير • لا أحد يعرف أنه ابن
حلاق • ولسوف ينتهي الماضي تماما على يديه ، لقد استطاع
أن يصنع من اسمه معنى شاعريا ، انه جميل الأفكار ، جميل
الرأى ، جميل البرهان • انه لتوفيق عظيم أن يقترن اسم برهان

باسم جميل ليكونا معا اسمه • اسم أئيق وسيم • يظن كثيرود
انه اسم تركي أو شركسي ، ولقد ساعدت بشرته البيضاء في
تغليب هذا الظن • انهم يخلطون بين لقب برهان ، وعائلات
برهان المعروفة ، وتعود أن يواجه الذين يسألونه عن أصول
وصلاته العائلية بإبتسامة بوزية •

وأحيانا يرفع رأسه شامخا بأفقه قائلا في ثقة وكبرياء : ا
جميل برهان لا ينسب نفسه الى أحد • اسألوا الآخرين
وامنحوهم فرصة الادعاء بأن لهم شرف الانتساب لجميل برهان

كان مثل هذا الرد يثير الاعجاب والرهبة في نفوس
السائلين ، وكما كانت دهشته أول الأمر ، عندما نما الى علم
أن بعض الذين ينتمون الى عائلات لها نفس اللقب يزعمون أنه
أقارب له •

الآن لم يعد يدهشه هذا الأمر ، فالناس يتشبثون بأى
شئ ، حتى لو كان مجرد وهم ، لاقتناع أنفسهم قبل اقناع
الآخرين بأنهم على صلة قري أو نسب بالعظماء والمشاهير
انه الشعور بالأسرة الصغيرة ، أو القبيلة الأسرة الكبيرة ، ه
المصدر الأساسي الذي تستمد منه الناس قدرتهم على الحركة
والاتصال والتعامل في مجتمعنا • ولا أحد مثل جميل برهان
يدرك هذه الحقيقة التي تنشب أظافرها في لحمه وتغرس

مخالبةا في عروقه ، فلا تترك له لحظة واحدة من الراحة •

فهو الذى يصنع وجوده الاجتماعى بانكار أسرته ، بالهرب من صلته بها ، بالافلات من الأسطى الحلاق ابن الحلاق • انه المحروم الذى يصنع نظريته وقيمها على قواعد النعيم الذى حرم منه • نعم الأسرة وصلة الرحم والنسب • انه وحده وسيظل وحده نهاية للمطاف ، نهاية للماضى ، وبداية لمستقبل يبدأ به وحده عندما يرتفع اسمه وزيرا فى البلاد •

فوجىء الأستاذ الدكتور برهان جميل بمجلة القيادة تنحرف فى يده • ولم يدر ماذا حدث • ولكنه استطاع أن يسيطر على السيارة فى الحال ، ومن حسن حظه أن الطريق كان خاليا ، لو كانت بجواره سيارة مسرعة ، أو عربة نقل أو مقطورة ، لكاف الكارثة •

ما الذى حدث ؟ أهو خلل فى السيارة الجديدة ؟ أم هى لحظة خاطفة من فقدان الوعي مرت به ؟ عجلة القيادة سليمة بدليل انها استجابت له فورا عندما صحح مسار السيارة • أكون الخلل بجسمه من ارهاق أعصابه ؟ انها نقطة الضعف فيه ، ومع ذلك فشل هذه الحالة لم تمر به من قبل • أهو مرض خبيث بدأ يكشف عن وجوده فى خلايا المخ •

ان ما حدث انذار لا يمكنه أن يتجاهله • لقد حرص

باستمرار. على التردد على أكبر الأخصائيين العالمين في الأعصاب • البروفسير دوپريه في باريس ، والدكتور ماندل في زيوريخ ، والدكتور ملفين في لندن • انه شخصيا أصبح خبيراً في كل ما يتصل بالجهاز العصبي ، وهو يتابع أحدث أنواع الدواء في هذا المجال ، بنفس الاهتمام الذي يتابع به ما تخرجه مطابع العالم في الفلسفة والمذاهب السياسية • وهو يعرف بدقة أنواع الفيتامينات والهرمونات وتفاعلاتها ويعرف أنواع المهدئات الكيماوية وتأثيراتها الجانبية • يكون ما حدث هو مجرد اغفائه هاجمته لأنه تأخر عن موعد فومه بالأمس بسبب تلك المكالمات التلفونية من الأقصر والتي لم تتم ؟ قالوا له ان الأقصر تطلبه ، وهو لا يعرف أحداً في الأقصر ، ويعرف تماماً أن لا أحد من المسؤولين من الشخصيات الهامة التي قد تتصل به قد سافر الى الأقصر • وانتظر وانتظر أن يتم الاتصال ولكن المكالمات انقطعت • ثم عادوا وطيوه وسمع صوتاً يقول له : « هنا وتر بالاس » • تم انقطعت المكالمات من جديد ، وتركوه حائراً لا يدري شيئاً من هذه الألغاز ، من الذي يريد الاتصال به من وتر بالاس •

ولما نئس من الانتظار ، ذهب الى فراشه وابتلع قرص « التريتيول » وما كاد يغفو حتى نهض فزعا على دقات جرس التلفون ، وأسرع يستكشف الأمر ، ورفع السماعة لتفاجئه

أصوات مختلطة غير مفهومة ، وأزيز وصيحات حادة ، ثم انقطعت
الحرارة عن التليفون •

عندما استيقظ هذا الصباح مبكرا ، ليهرب من ضجيج
القاهرة ومشاكلها وانفعالاتها ، شعر أنه لم يأخذ حظه كاملا من
النوم فابتلع ثلاثة أقراص لا قرصين من الفيتامينات والهرمونات،
وأدى كماداته التمرينات الرياضية أمام مرآة الدولاب ، وابتسم
لنفسه عندما تذكر أنه سيصبح وزيرا ، ولاحظ أنه في حاجة الي
قص شعره ، وهو ما سيفعله بمجرد وصوله الى الاسكندرية ،
انه لا يستريح لقص شعره الا في الاسكندرية عند «ميخاليوس»
في شارع السلطان حسنين •

ووقف على الميزان في الحمام فلاحظ أن وزنه نقص ربع
كيلو فأضاف كمية من اللبن الى الشاي ، وطلب من عثمان أن
يضيف الى الافطار بيضة مسلوقة ، وأكل بشهية ، ولم يشعر
بأية أعراض تنبئ عن أى شئ غير عادى في جسمه • وقبل أن
يفادر مسكنه ألقى بتعليماته لعثمان لينظف الثلاجة ، وزجاج
النوافذ ، وينفض الغبار عن السجاجيد ، ويقوم بتلميع الباركيه •

انه يريد أن يعود يوم السبت ليجد البيت يبرق ويلمع ،
وأجمل من أى بيت من بيوت أصحابه الذين ربطوا حياتهم
بزوجات يشرفن على تنظيف وتجميل البيوت • انه يرفض أن

يقول له أحد في أية لحظة وفي أية مناسبة : انه لو كان متزوجا
لكان بيته أفضل • انه يعلم من دون الجميع أن البيت الهادئ
المريح ليس هو البيت الذي تسيطر عليه امرأة •

ان السر الذي لا يعلمونه أن نظريات الأسرة والزواج
والأولاد انما هي نظريات تنتهى حتما الى خلق الرجال الكسالى
ذوى الهمم الخاملة • فمهما علت همّة الرجال في السياسة
أو الحرب أو الفن ، فالحياة في الأسرة تنتهى الى تحطيم الرجل
واصابته بالخمول اذا لم يصبه الشلل •

ان الرجال لا يدركون أنهم في الأصل مجرد حيوانات
كسولة عليهم أداء مهمة الاخصاب ، وهى الوظيفة الوحيدة التى
تفرضها عليهم الغريزة لضمان استمرار الحياة ، وبعد ذلك لا قيمة
للرجال • وهو يعرف هذا السر ويحتفظ به لنفسه ، لأنه
لا يستطيع أن يدعو اليه • انك لا تستطيع أن تدعو الناس الى
ما لا يطيقونه •

ان مثل هذا السر لا يذاع ، ولكن خاصة الخاصة بين
الرجال يدركونه ، وتعاملون به دون أن يعملوا على افشائه ،
لأنه لا معنى لأن تلقى بجواهرك أمام الخنازير ، أو تتحدث عن
رسالة أعظم للانسان أمام حيوانات لا تجيد شيئا ، ولا تهتم
بشيء ، سوى أن تنجب مزيدا من الأطفال ، ان النسل يتدفق في

مجراه ملايين بعد ملايين من البشر ، وبين هذه الملايين يحدث بين فترة وأخرى أن يكتشف انسان السر ، فلا يسلم حياته لمن يخلفه أو يرثه ، ولا يلقي بمسئولية امتداد حياته على شخص آخر حتى لو كان هذا الشخص هو ابنه . بل يترك مهمة استمرار الحياة للآخرين ، أما هو فيكون عليه أن يعطى للحياة معنى ، أن يجعل الحياة أجمل ، أن يرقى بالحياة الى مستوى أرفع . وهو الأستاذ الدكتور جميل برهان يدرك تماما هذا السر ، ولذلك فهو يعطى للناس نظرياتها التي ترتاح اليها ، أما هو فله سره العظيم ، هذا السر الذى يوشك أن يحمله الى كرسى الوزارة .

كانت آخر تعليماته لعثمان أن يحرص على معرفة من الذى يتكلم من الأقصر اذا عاود الاتصال ، واذا كانت للمكاملة أية أهمية فليبلغ المتكلم أنه مسافر الى الاسكندرية لقضاء يومين وأن يتصل به فى بيته بالاسكندرية اذا شاء .

هكذا مضت الأمور منذ الصباح الباكر كل شئ يسير فى خطه المرسوم له . كل شئ يجرى كما هو متوقع ، فيما عدا تلك المكاملة الغامضة من وتر بالاس . وهى مهما يكن الأمر لن تكون شيئا ذا بال ، واذا كانت غير متوقعة ، فهى أيضا الاستثناء الذى يثبت القاعدة ، فلا بد أن يمر بالحياة الهادئة المستقرة شئ غير

متوقع بين وقت وآخر ، هو في حد ذاته رغم أنه غير متوقع ،
يساعد على تأكيد وجود الاستقرار ويدعم الاحساس به •

ولكن هذه الاغماءة ، أو الدوخة ، أو لحظة فقدان الوعي ،
رغم أنها مرت بسلام ، الا أنها تنذر به خطر كامن متربص ،
ربما في السيارة ، ربما في جسمه ، وهذا الخطر يتضخم الآن
بسرعة غير مفهومة ، ولا تستطيع أن تصمد له أعصابه رغم أنه
حصنها في الصباح بأقراص الفيتامينات والهرمونات •

سأل نفسه فزعا : ماذا لو تكررت النوبة ؟ ماذا لو سقط
مغشيا عليه وهو يقود السيارة ؟ أى ضمان أن ما حدث لن
يتكرر ؟ أوقف السيارة في الحال ؟ انه يقترب من قويسنا ،
ماذا يفعل هنا ؟ أيعود الى القاهرة ويتجه فورا الى عيادة صديقه
الدكتور فهمي ؟ أكون واحدا وما حدث هو مجرد سهو نتيجة
اندفاعه وراء تأملاته التي نشطت بصورة غير عادية مع توقعه
لترشيحه للوزارة ؟

انتبه الى فلاح يلوح له • أوقف السيارة قبل أن يفكر ،
ليتبين أن الفلاح يريد أن يركب ، وجد نفسه يمثل بلا مقاومة ،
فتح للرجل باب السيارة وسمح له بالجلوس بجواره •• لم ير
الفلاح ، كان يرى أمامه مندوب القضاء والقدر ، رسول
العناية الالهية التي أرسلته وقت الأزمة ليجلس بجواره ويظمنه

في رحلته ، لا مفر من قبول هذا الذي أرسلته له الأقدار ، وان كان يفضل لو كانت الأقدار قد أرسلت له شخصا آخر غير فلاح جاهل ، شخصا يستطيع أن يعتمد عليه ، طبييا مثلا تكون سيارته قد تعطلت في الطريق • فوجيء بالفلاح يعامله كما لو كان سائق سيارة أجرة • انه يساومه ويقول له انه لن يدفع أكثر من عشرة قروش مقابل توصيله الى بركة السبع عند الجسر على الطريق ، لن يطلب منه دخول البلد • قال للفلاح : انه ليس سائق أجرة ، وانه لا يريد منه أى مقابل • ولكن الغبي لم يفهم •

انه يفسر ما يسمعه بطريقة عجيبة ملتوية ، ويظن أنه يرفض القروش العشرة لأنه يطلب المزيد • دافع الفلاح عن حقه بأصرار غبي قال : انه لا يحمل شيئا ، ويجلس بجواره ويترك المقاعد الخلفية لركاب آخرين ، احتد الدكتور جميل وهو يؤكد للرجل للمرة العاشرة أنه ليس سائق أجرة ، وأنه يسمح له بالركوب مجانا • ونظر اليه الفلاح في غير فهم ، أو في غباء أعمق من الشك ، وأقصى من الريبة ، غباء عنيد متمسك بأحكام لا يحيد عنها • يئس من أن يفهمه الفلاح • فلاذ بالصمت ، ورضى بالراحة أو الطمأنينة التي شعر بها مع وجود هذا المخلوق بجواره •

ان الحوار الذي دار بينهما شغله عن مخاوفه ، لقد انشقت

الأرض عن هذا المخلوق في اللحظة التي هاجمته فيها مخاوف عاتية ، لولاها ما كان ليقف بسيارته لهذا الجلف ، ثور من الثيران التي تعيش على الأرض لا هم لها الا تنفيذ أوامر الغريزة ليستمر وجود البشر في الحياة ♦

ولكن أى أنواع من البشر يخرجون من صلب أمثال هذا الثور ♦ أفواه تأكل ، وأمعاء تهضم تفرز النفايات ، وغريزة عمياء تفور ♦ ثم لا شئ بعد ذلك ♦

كم ينفر من هذه المخلوقات التي تزحف طوال الحياة على بطونها كالديدان لا تدرى شيئاً عن دنيا العقل والحضارة ؟ انها مهمة شاقة التي سيواجهها في الوزارة ، أشق من النحت في الصخر ، ومع ذلك لابد أن يقبل وأن يتحمل المسؤولية ، ولن يزعم لنفسه أو للآخرين أنه سيغير الأحوال بين غمضة عين وانتباهتها ، فهو يعرف حدود القدرة البشرية ، كل ما عليه هو أن يرسى القواعد السليمة ، ويخطط للمستقبل ، يكفيه أن يضع الخطة ، قد يحتاج الى خطتين ، خطة عاجلة ، يطلق عليها شعار « خطة الاسعاف » ثم خطة طويلة المدى ♦

وهذه ستكون للأجيال القادمة عندما تختفى هذه الثيران من وجه الأرض ، اذا كان من الممكن أن تختفى ، ويصبح الريف عندنا كالريف الفرنسي أو السويسرى ♦ ستكون أيامه

الأولى فى الوزارة حاسمة ، عليه أن يكسب تأثير الوهلة الأولى ،
أن يكون له حضور وزارى ، لا مجرد وزير جديد ، عليه أن
يجذب الانتباه ، ويؤكد الشعور بأنه قادم للتغيير •

صرخ الفلاح ينبهه الى أن الطريق أمامه مغلق ، ولولا
صرخة الفلاح لاصطدم بحاجز خشبى يعترض الطريق معلقة
فوقه لافتة تعلن أن الطريق به اصلاح • واستطاع أن يتفادى
الحاجز ، وينحرف بالسيارة الى الطريق الآخر رغم أنه يقود
بسرعة غير عادية ، انه ينتشى اذا ما رأى مؤشر السرعة يتخطى
المائة والعشرين ، تتجمع لديه مشاعر الانطلاق والاقدام والجرأة
والقدرة على الاقتحام والاختراق •

انها ألد المشاعر التى يتمتع بها وهو يقود سيارته ، ولكن
يبدو أن عليه أن يغير بعض عاداته ، ويتخلص من هذه المتع
القليلة فى حياته ، ولسوف يأتى منصب الوزارة ليحرمه من
الكثير من هذه المتع ، سيكون لسيارته سائق وساع ، عليه
أن يكتفى بالسلطة ، وأن يروض نفسه على التعامل معها ،
كما لو كانت هى حبيبته أو امرأته ، عروسه التى تزف اليه
وتأنيه كما يقول الشاعر منقادة تجرجر أذيالها •

ضحك لهذه الصورة منتشيا ، وشعر بجوية تتدفق فى
كفيه وذراعيه ورقبته وبطنه • لو كان وحده لأطلق عقيرته

بالغناء • وقرر أن يوجه طاقاته الى الفلاح • ما اسمك ؟ ربيع •
متزوج ؟ كم زوجة ؟ واحدة فقط • • كيف يا رجل • لماذا لم
تتزوج أربعة ؟ عجيب • • أنت تقول ان واحدة تكفى •
وأولادك • خمسة • خمسة فى عين العدو • ها • • ها • •
أعتقد فى الحسد ؟ نعم انه فى القرآن • طبعاً القرآن الكريم • •
هل تسمع الراديو ؟ والتليفزيون أيضا ؟ مدهش • ألك أولاد
فى المدارس • قل لى : ماذا يعجبك فى التليفزيون ؟ تفسير
القرآن • والكرة •

لا أمل فى أن يذكر هذا الجلف وجه الدكتور جميل
برهان • مع أنه يظهر على الشاشة مرة كل أسبوع منذ شهرين •
قبل أن يسأل الفلاح عن المواعيد التى يشاهد فيها التليفزيون •
كان الرجل يحدثه عن خبر غريب نشرته الصحف هذا الصباح
عن قرينه • انطلق الفلاح يتحدث عن حادث اطلاق رصاص
نجا منه العمدة • شعر بضيق فى صدره عندما قال الفلاح ان
الدافع الى اطلاق الرصاص صبية صغيرة تزوجها العمدة
كزوجة ثانية ، وان شابا مهووسا كان يريد الزواج من هذه
الصبية هو الذى أطلق الرصاص وقبضوا عليه •

قال الدكتور جميل مشمئزاً ان الناس لم تعد تقتل من أجل
امرأة ، وان هذا لا يحدث فى أى مكان يرتقى فيه الناس • كيف

تدخل الكهرباء القرية ، ويشاهد أهلها التلفزيون ، ثم يرتكبون مثل هذه الجرائم البدائية ؟

بدا أن الفلاح غير مقتنع تماما بكلام الدكتور جميل ، أو لعله لم يفهم معنى الكلمات ، لأنه شرع يروى الحادث من جديد ، ويتحدث عن هوس الشاب الذي رآه بعد أن أمسكوا به .

سأل الدكتور جميل الفلاح ، اذا كان هناك تفسير لاهتمام رجل وامرأة . حتى يرتكب جريمة قتل ، فقال الفلاح في هدوء : ان الانسان مثل البئر الغويط ، والله وحده يعلم ما بنفوس البشر . فانطلق الدكتور جميل يشرح للفلاح الذي نسي أن اسمه ربيع رأيته في أن الأسرة والزواج والأولاد أهم من علاقة بين رجل وامرأة . علاقة يتحكم فيها الشيطان . واستمع اليه الفلاح صامتا ، أو لعله تظاهر بأنه يسمعه ، مما زاد من ضيق الدكتور جميل بالموقف ، كيف يعبر عن نفسه بالطريقة التي تجعله يسيطر على آذان هذا الفلاح . لا فائدة من الوصول اليه أو محاولة اقناعه بشيء .

ان الرجل لا يهز رأسه موافقا الا عندما يسمع آية قرآنية ، أو حديثا شريفا . عندما يصل الى الاسكندرية ، سيراجع قاموس مفردات القرآن ، ويجمع كل الآيات حول الزواج والبنين

والبنات ، كل ما يتصل بالأسرة • ولسوف يحفظه عن ظهر قلب استعدادا للامتحان الكبير عند توليه الوزارة •

هذه ضرورة حتمية لا مفر منها • وضغط الدكتور جميل بقدمه على البنزين انه لا يستطيع أن يقاوم الرغبة في الانطلاق السريع ، وتمنى لو أن الفلاح ترك السيارة وهبط منها ، ثم عاد وخشى أن يظل وحده بعد أن يهبط الفلاح • انه لن يتركه معرضا لاحتمال وقوع نوبة أخرى فقط ، بل سيتركه ومعه أخبار الرجال الذين يتصارعون على النساء •

هذا الصراع الذى لم يعرفه أبدا فى حياته • انه لم يتورط فيه الا مرة واحدة ، تلك الطالبة التى كانت تعد للماجستير ، استطاعت أن تجذبه بمهارة عجيبة للتفكير فى ذلك الشيء البشع ، الارتباط بامرأة ، لكن النفور الذى كان ينهمش أعماقه ازداد شراسة كلما تورط معها فى الوعود • وعانى من الأرق لىالى طويلة وهو يترقب امتحان الزواج • وبذل من الجهد فوق ما يتصوره البشر ، قرأ عن المرأة والحب والجنس ، ولجأ الى أطباء الأعصاب ، وتحدث معهم ، ورحبوا بأن يتركوا مرضاهم ينتظرون ، ليناقشوه ويحييوا على أسئلته عن الفرق بين المرض العصبى والنفسى والعقلى ، وهل هناك فرق صحيح • أم هى زوايا مختلفة لقضية واحدة ؟

وناقش معهم أنواع العلاج ، وفائدة المواد الكيميائية .
 وهل هناك احتمالات لتصحيح ضعف الأعصاب بالجراحة ؟ وكلما
 طمأنه الأطباء زاد قلقه ، وكلما نصحوه بخوض التجربة بشجاعة ،
 جبن وفتك به القلق . قال له صديقه الدكتور فهمى : ان المشكلة
 فى دماغه ، وليست فى أى مكان آخر . وإن ما يريد مناقشته هو
 موضوع لا صلة له بالأفكار والمناقشات العقلية . انك لا تحب
 المرأة بالاقناع والمناقشة . ولا تقيم بيت الزوجية على دعامة
 الأفكار وحدها ، ومهما ناقشت زوجتك وتفسلت معها فلن
 تنجب لك ولدا ولا سمكة صغيرة .

• فصرخ فى فهمى انه لا يقبل أن يكون حيوانا أو ثورا مثل
 بقية الثيران ، وكان فهمى من القلائل الذين واجههم الدكتور
 جميل برأيه الحقيقى المضاد تماما لنظرياته المعلنه عن الأسرة ،
 قال لفهمى : ان الصلة بين التكاثر وخصوبة التناسل وانحطاط
 الكائن العضوى الحى قائمة ولا سبيل الى إنكارها ، فأكثر
 الكائنات الحية تكاثرا هى الكائنات الأميبية والجراثيم التى
 تتوالد بالملايين والبلايين ، أما الكائنات العليا الراقية فتوالدها
 محدود ، والقمة الانسانية لا تتوالد بالجنس بل تتوالد بالأفكار ،
 فرجل العلم أو رجل الفن أو رجل الدين ، جميعا لا ينقلون
 علومهم أو فنونهم أو تقواهم الى البشرية عن طريق رحم المرأة .
 ان المواهب والنظريات والتفسيرات والمذاهب الدينية التى

تسعد البشر ، وتجعل لبقائهم في الحياة معنى لا تكون بالتناسل . والشعوب المتحضرة لا تتناسل بنفس الكثرة التي تتناسل بها الشعوب المتأخرة . ان المرأة كانت وما زالت أداة الشيطان الذي يستخدمها في غواية الرجال ، لتركوا رسالتهم المجيدة في الحياة . انه نفس الأسلوب الذي استخدمه ابليس ليخرج آدم من الجنة عن طريق حواء .

والدول الكبرى لا يصيبها الانحلال والتدهور الا بسبب المرأة . هذه حقيقة لا ينكرها أحد . لقد شهد بنفسه سر تدهور أوروبا بعد أن رأى بعينه كيف تنشت في مجتمعاتها العلاقات غير الشرعية والصلات المحرمة ، وساد الانحلال والتفسخ بانشغال الرجال بالبحث عن النساء ، وانشغال النساء بغواية الرجال .

كل رجل يتخذ عشيقته ، وكل امرأة تقيس درجة جمالها بقدر ما تستطيع أن تغوى من رجال . هذا هو الذي جعل فرنسا تركع أمام جيوش هتلر في أيام . وهذا هو ما قضى على هتلر الذي استسلم لغواية عشيقته ايفا براون . ونفس الكارثة لموسوليني مع عشيقته كلارا ، وهذا هو ما جعل الالحاد والكفر يسود مجتمعات شرق أوروبا ليعيش فيها الناس عبيدا للمادة والاباحية .

كانت للدكتور جميل قصة يرويها ولا يمل من تكرارها ،
يرويها أحيانا باختصار ويرويها أحيانا بتفاصيل دقيقة ، وقد
يعلق عليها ، أو يكتفى بنظرة حزينة ويمط شفثيه ، معلنا
اشمئزازه بما هو أقوى في التعبير من أى كلمات •

كانت قصة يعتمد عليها كضربة قاضية يوجهها ليحسم
أية مناقشة ، وكان يكسب بها المؤيدين المعجبين بحملاته الضارية
ضد الانحلال الذى يهدد الأسرة ، الدعامة الأساسية لأى
مجتمع •

انها قصته مع أستاذ فرنسى زميل له فى السوربون •
كان لا يذكر اسمه الا فى مناسبات خاصة ، ويكتفى غالبا بأن
يبدأ قصته قائلا : أعرف أستاذا فرنسيا مشهورا جدا ، له مؤلفات
يدرسونها فى أشهر جامعات العالم ، وهو زميل لى ، ويحاضر
مثلى فى الفلسفة ، وكلمته مسموعة فى كل مكان • ولكن لا داعى
لذكر اسمه لأن القصة التى سأرويها محرجة ، وأنا لا أريد أن
أطعن بها زميلا أحترم رأيه ، كل ما أريده هو أن أشخص مرضا
عضالا فى المجتمعات الغربية يجب أن ننتبه اليه •

وبعد أن يطمئن الدكتور جميل الى انه سيطر على آذان
سامعيه ، يروى كيف أنه ذهب ليزور زميله ذات يوم فى بيته
بشارع دومنيك بجوار الكتليزائية • وهناك واجه نموذجا

للانحلال الذي تمكن من روح أوروبا • كان الأستاذ الفرنسي يحتفظ في بيته بعشيقة له تعيش معه ، وكانت زوجته تحتفظ في نفس البيت ، بيت الزوجية بعشيق لها • شيء بشع لا يمكن لإنسان أن يتصوره • بل انه لا يوجد في الدنيا مدينة أو حضارة ، مهما قلت انها تقدم لك من وسائل الرفاهية ، يقبلها الانسان • اذا كان ثمنها هذا الانحلال البهيمي • كان الأستاذ الفرنسي قد حدد له موعدا لزيارته ليخرج معه وزوجته في جولة يابويس •

فلما دخل عليه وجده جالسا في حجرة مكتبه وتحت قدميه عشيقته، فتاة صغيرة لا يزيد عمرها عن الثامنة عشرة ، ترتدى برنسا فوق جسدھا العاري ، وكان شعرھا الطويل مبللا ينسدل على كتفيھا ويسقط في حجرھا ، وهی جالسة تحت قدمي الأستاذ أمام المدفأة • قطعة مدللة مستكينّة ترقد عند قدمي صاحبھا • • وكان الأستاذ هادئا ناعما ، لم يكلف نفسه بالوقوف وهو يرى زميله المصري واقفا متسمرًا عند الباب • وقال وعيناه تبسمان في اطمئنان واسترخاء وقع :

— اعذرني يا عزيزي مسيو برهان • فلن أستطيع الخروج معك • فكما ترى حدثت في بيتنا تطورات مفاجئة • فلقد جاءت حبيبتى ، وسأضطر لقضاء ليلتي معها •

« هكذا بصراحة وقحة يسمونها في بلادهم حرية ، اعترف لى الرجل متباها بهذا الانحلال الأخلاقى » .

حاول الدكتور جميل أن يقول كلمة ، ينطق بحرف ، يخرج صوتا من حلقه أى صوت ، ولكنه كان مشلولا تماما أمام منظر تلك الحبيبة المبللة الشعر التى خرجت لتوها من الحمام . بعد أن أقام الشيطان أفراحه ، وزفها الى عشيقها .

وكانت البنت لا تلتفت اليه ، ولا يهمها أن غريبا يطل عليها ، بل لعلها تعمدت أن تظهر مقاتها أمام الغريب ، فأحتت رأسها المبلل وأسندته على ركة عشيقها وطوقت ساقيه بذراعيها تضغط عليهما بشديها وقد أعطت للزائر ظهرها ، وانحنى الأستاذ الولهان يمسح بيده على شعرها المبلل ويقبلها . ثم رفع رأسه ونظر الى الدكتور مسيو برهان كأنه يوبخه لبقائه طويلا ، لولا أنه استدرك قائلا :

— ستخرج مع زوجتى • انها تنتظرك •

ثم غمز الأستاذ بعينه وقال :

— هى أيضا معها الآن عشيقها • ولكنها ترحب بالخروج معك ومع جورج •

تراجع الدكتور جميل ذاهلا وقد طرق أذنيه هذا الكلام

الغريب ، وهو يسأل نفسه اذا كان الأستاذ قد جن ، أو أنه هو
الذى جن ويعانى من كابوس سوف يفيق منه ، ولكنه كان
لا يحلم . وسمع صوت الزوجة تناديه ، حاول أن يعتذر لها .
ولا يدرى ماذا قال لها ، وماذا قالت له ، كان ارتباكها قد تحول
الى ذهول تام .

الموقف كله يتحداه ، ويستنفذ مشاعره ، بل يتحدى كل
القيم التى يعمل من أجل نشرها الآن بين أبنائه الطلبة فى
المحاضرات التى يلقيها عليهم فى الجامعة ، أو يعمل على نشرها
وتدعيمها بين جمهوره العريض فى الصحف والاذاعة والتلفزيون .
ان مواقفه وحملاته الأخلاقية التى أكدت مكاتته ، وأرست
قواعد شهرته بين الجماهير ، قد تفجرت منذ تلك اللحظة
الرهيبه التى مر بها فى بيت ذلك البروفمير الفرنسى فى بيته
بشارع دومنيك ، بين الانفاليد وحى سان جرمان دى بريه .
وأى بعينه الانحلال الذى يجعل أوروبا تتقاتل فيهلك الملايين
لتتحول فيما بعد الى دول من الدرجة الثانية والثالثة . رأى
الانحلال الذى امتزج بالكفر أنجبته المذاهب المادية ، ورأى
الانحلال الذى امتزج بالاباحية ، والفوضوية ، وعقاقير
الهلوسة ، وعصابات الارهاب .

وأيقن منذ تلك اللحظة أن هذه المجتمعات سوف تنهار
لأنها سقطت فى هوة لا خلاص منها . انه يذكر تلك الزوجة

الفرنسية في تلك الليلة ومعها عشيقها جورج الذي يصغرها بسنوات ، وهم يطوفون به ملاحى باريس ، وهو ذاهل بلا حول ولا قوة ، لا يكاد يفهم شيئاً مما يقولون أو يفعلون ، في أعماقه مرارة ، واحساس أليم بأنه بمصاحبته لهذين الفاجرين يقوم بمهمة مشينة تستنكرها الأخلاق والقيم الحميدة •

اتقنوا به الى الليدو في الشانزليزيه ، حيث اندمجت المرأة في الرقص مع جورج ، تقبله علناً أمام الجميع ، بينما جلس يتلفت برأسه يمينا ويسارا لا يدرى أين يخفى عاره ووضع المهن ، حتى جاءته تلك المرأة الفاجرة ، تهتف به •• لماذا أنت حزين يا مسيو برهان ؟ هيا نرقص •• أتريد أن تغويه هو الآخر ، تضمه الى زمرة أهل ابليس ؟ رفض أن يرقص معها ، وتعهد أن يخاطبها بخشونة وأن يتجاهل عشيقها حتى أطلقا سراحه وأفلت منهما •• هذه القصة يعرفها كل من اتصل بالأستاذ الدكتور جميل برهان ، فهو لابد أنه استمع اليها في شكل من أشكالها المتعددة التي يختار أن يبرزها من خلاله •

أحيانا يسترسل في وصف عشيقة البروفسير ، فيعرف السامعون أن شعرها الطويل أسود ، وانها أقرب الى أن تكون أسبانية ، بشرتها خمرية ، عيناها سوداوان دعجاوان كعيني بقرة ، وجسمها طويل مشقوق ممتلىء قليلا ، وهى فتنة عرف الشيطان كيف يختارها بحذق شديد ليسلب عقل رجل من ألبع

رجال الفكر الفرنسى ، حتى يستخدم فلسفته فى تحطيم القيم والأخلاق .

وتتعدد أوصاف جورج ، فهو أحيانا يشبه الملاك ، وكان فى فترة ما يوصف للسامعين بأنه يشبه الممثل الأمريكى ميكى رونى ، وعندما ذاع اسم « جيمس دين » أصبح جورج من عينة « جيمس دون » وكان اسمه أحيانا « جورج دون » وقد يتسم الدكتور جميل ساخرا وقد مط شفتيه فى احتقار ويضيف شارحا « جورج دون » على وزن « جيمس دون » ، وفى السنوات الأخيرة أصبح اسمه « جورج ترافولتا » وتكرر هذا الاسم فى الحملة الأخيرة التى يقودها الدكتور جميل فى ندواته التلفزيونية . وهو يتحدث فى حملته مستعينا بهذه القصة التى يرويها لمشاهدى التلفزيون باختصار شديد ، ليؤكد أنه من أصحاب الخبرة فى الحديث عن قضية التفكك الأسرى ، لأنه رأى الفساد بعينه ، وشاهده فى عقر داره ، واختلط به ، ولديه من الحكايات أو الخبرات ما يستطيع أن يرويهِ ويقنع به .

اضطر الدكتور جميل أن يضغط على فرامل سيارته برفق ، وقد اعترضت طريقه مقطورة تحمل بالات قطن . كان الفلاح صامتا يرقب الطريق أمامه فى استسلام مطلق ، وجاءت سيارة يجو أجرة من خلفه تزاحمه ، وأطلق سائقها بوق سيارته .

في الحاح ، وكاد الدكتور جميل أن يجن • ما الذي يريد هذا السائق ؟ هل يريد منه أن يتخطى المقطورة ؟ كيف ؟ أم لعله يريد منه أن يهبط بسيارته في الحقل المجاور ليسمح لحضرته بأن يتخطاه ، ثم يسير هو خلف المقطورة •

انه لا يقبل هذا التحدى الوقح ، وهو عادة يكسر أنف من يضايقه على هذا النحو بأن يطلق العنان لسيارته ، ولكنه يعرف بخبرته أن « البيجو » تستطيع أن تسبقه ، ولذلك يرفض الدخول معها في عملية تحد ، ويكتفى بأن يسب سائقها بينه وبين نفسه • نظر الى السيارة في المرأة ، فرآها تهاجمة من الخلف ، واقتربت منه وحاذته خلف المقطورة ، وسارا جنبا الى جنب ، تهجم واقتحام ورعونة وقلة أدب • عليه أن يتحمل في صبر كل هذا خشية أن يؤدي تهور سائق البيجو الى مصيبة من حيث لا يدري •

الناس أصبحوا كلابا مسعورة • لا يطيق أحدهم الآخر • يتدافعون بالأكتاف ، يتسابقون ويتصارعون ويتشائمون ، لا يطيق أحدهم الآخر • نفوس مريضة ، هذا هو الذى اتقلل الينا مع ما يسمونه مدنية • السيارة يقودها الآن كل من هب ودب • لا احترام لتقاليد القيادة ، ولا فهم لطبيعة الآلة التى يستخدمونها ولا رقابة من شرطة المرور ، سوف تنتهى

قريباً هذه المرحلة من حياته ، وسيركب السيولة التي لا يجرؤ
على تحديها أحد .

سمع الفلاح ينبهه في قلق الى أن الدين بالسيارة المجاورة
يشاورون ويتصايحون . التفت بسرعة ، ثم عاد ونظر أمامه
خشية أن تفلت منه عجلة القيادة ، فلم ير شيئاً . ولكن الفلاح
عاد يقول . وقد زاد قلقه أنهم يلوحون لهما . لماذا يلوحون ؟
لا صلة له بهم ، أيّ منهم من عرف من هو من التليفزيون ؟ أغلب
الظن أن هذا هو السبب ، ولكن الفلاح يقول أنهم يريدون
إيقافه السيارة .

لماذا ؟ أيكون قد حدث شيء يريدون تنبيهه اليه ؟ الحقيقة
الخلفية مفتوحة ؟ أو اطار يوشك أن يفرغ منه الهواء ؟
أم هناك شيء أخطر ؟ فقد انفجر في رأس الدكتور جميل خاطر
أزعجه . ان السيارة البيجو تطارد سيارته لأن هذا الفلاح الذي
يجلس بجواره هو المجرم الذي أطلق الرصاص على عمدة
القرية ، وأنه هارب معه في سيارته . لو صبح هذا فهي الفضيحة
التي قد تؤدي الى ضياع كل آماله في الوزارة .

ولكن ، أهذا معقول كان سائق البيجو ما زال يطلق
بوقه ، وتظر الدكتور جميل بقدر الامكان الى ركاب السيارة ،
فراى وجها يلوح له مبتسماً . انه وجه غريب لا يعرفه ، معجب

سخيف ممن يشاهدونه في التلفزيون ، ولكن لا • انه يعرفه •
مع النظرة الثالثة فوجيء لدهشته أن الوجه الذى يطل عليه من
البيجو هو وجه البروفسير جاستون •

نعم بكل تأكيد انه مسيو ارمان جاستون • هل هذا
معقول ؟ كان منذ لحظات يفكر فيه • الرجل الذى جعل من
قصته هو وزوجته المستند الرئيسى فى حملاته الأخلاقية على
انحلال المدنية الغربية •

ما الذى جاء به الى هذا الطريق ؟ انه لم يزر مصر أبدا ،
ولم يخطره بأنه قادم الى مصر • ما معنى هذه المصادفة
العجيبة • كأنه استدعاه بخواطره • كأن هذا الفلاح قد أطلق
بأخباره عن حادث العمدة ، تيارا من الخواطر والذكريات التى
تداعت حتى وصلت الى البروفسير جاستون فى باريس ، فحملته
على بساط سحرى ، ليأتى فى لمح البصر ، ويراه بلحمه ودمه
وعظامه فى سيارة مجاورة فى الطريق الزراعى الى الاسكندرية ،
بين قويسنا وبركة السبع •

انحرفت المقطورة ، وأفسحت الطريق أمامها ، فتقدمت
البيجو ثم وقفت ، ووقفت خلفها سيارة الدكتور برهان جميل ،
وهبط جميل وجاستون ليتصافحا • كان البروفسير فى حالة
مرح شديد ، انه سعيد بهؤلاء الركاب الذين ما علموا عن طريق
واحد منهم يعرف الفرنسية ، أنه رأى فى السيارة صديقه الذى

يريد أن يلقاه في الاسكندرية ، حتى صمموا على تحقيق غايته في الحال . انهم يقدرّون يا عزيزي أهمية الصداقة ، ويفرحون بها . هذه نعمة كبرى في بلادكم .

دفع البروفسير لسائق البيجو أجرته ، وحمل حقيبة صغيرة إلى عربية زميله جميل برهان ، وهو يقول له انه حاول الاتصال به من الأقصر . طلبوا منه أن يلتقي به في مهمة عاجلة . دعوة إلى ندوة البحر الأبيض المتوسط التي تقام في باريس في الشهر القادم .

وتوقف البروفسير عند الفلاح ، وأخنى له رأسه محييا بالفرنسية . رد الفلاح التحية ، بأن فتح له باب المقعد الخلفي للسيارة وهو جالس مكانه في المقعد الأمامي ، فصاح الدكتور جميل غاضبا ، وكأنه يرى الفلاح لأول مرة ولا يدري من أين جاء ، ولا السبب الذي جعله يتجرأ ويركب عربته .

كانت مشاعر وخواطر مضطربة تضيح مشوشة في رأس صدر الدكتور جميل ، بماذا يفسر للبروفسير وجود هذا الجلف رث الثياب بجواره في سيارته الخاصة ، سيظن البروفسير أنه قريب له . سيسخر منه ومن انحطاط بيئته الاجتماعية . لماذا لا يتحرك هذا الحيوان وينتقل إلى الخلف ؟ لماذا لا يترك العربّة ويختفي من الوجود ؟ أي مصيبة جاءت به ؟ انه

لشيء مخجل حقا أن يلتقي البروفسير بمثل هذا المخلوق الذي ينطق بالغباء والجهل • هتف في الفلاح أن ينتقل الى الخلف أن يتحرك بسرعة ، ألا يجلس جامدا مكانه ، ولكن الفلاح لم يفهم ما الذي يعنيه ذلك السائق الذي جن فجأة • ووقف البروفسير يرقب الموقف ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة غامضة لعلها ساخرة •

وجذب الدكتور الفلاح من يده يأمره أن ينتقل الى الخلف ، فاعتذر الغبي لأنه في رأيه لا يصح أن يجلس هذا الخواجة الغريب بجوار السائق • فلما ألح عليه الدكتور جميل رفع الفلاح صوته مستريا : انه لن يقبل أى زيادة في الأجرة اذا ما اتقل ، وجلس وحده في المقاعد الخلفية للسيارة •

فصاح الدكتور جميل منفعلا : انه لن يأخذ منه مليما • انه يقسم أن لن يطالبه بشيء • لقد قبل أن يركب معه لوجه الله ولا شيء غير ذلك • كان الدكتور يتصبب عرقا ، وانفعالاته تزداد ، ووجهه يحترق ، وبينما ينتقل الفلاح من المقعد الأمامى الى المقعد الخلفى شم الأستاذ الدكتور رائحة عطنة تفوح من ملابسه • رائحة تبين أو روث بهائم • رائحة فلاحين على أية حال •

وكان البروفسير يردد بالفرنسية طوال الوقت أنه لا يريد

أن يزعم المسيو الذى هو الفلاح ، فيتجاهل الدكتور جميل أنه يسمعه ، بل كان فى هذه اللحظات يتعامل مع الفلاح وقد انصرف تماما انتباهه عن البروفسير ، لأنه لو فكر فينا يعتقد أن البروفسير يفكر فيه لانفجرت شرايين مخه وسقط مصعوقا . انها أزمة من تلك الأزمات العنيفة التى تمر بالانسان . كارثة وفضيحة حقيقية عليه أن يبذل مجهودا خرافيا لينساها ، ويمحوها تماما من ذاكرته .

وكان هم الدكتور جميل الآن أن ينظر فى فزع باحثا عن البراغيث أو القمل فى المكان الذى كان يجلس فيه الفلاح . هل شاعت الأقذار أن تفرض عليه أستاذ السوروبون ليخلس فى عربته الفيات الجديدة التى كان يتفاخر بها منذ قليل ، ليكشف البروفسير أن البراغيث تمص دمه ، والقمل يزحف فى ملابسه الممضاة باسم أكبر صانعى الأزياء الباريسيين ؟

أن الرجل قد يخجن ، وقد يرفع عليه قضية مطالبا بالتعويض . انهم متهورون مجانبين هؤلاء الفرنسيون ، واذا أرادوا كانوا فى منتهى قلة الأدب . أهكذا يقابل الرجل الذى جاء وراءه ليطلبه فى مهمة رسمية عاجلة فى باريس ؟ يا للفضيحة . . يا للعار . . أخرج منديله من جيبه بيد مرتعشة وهجم على المكان الذى كان يجلس به الفلاح ينفضه ويتفحصه ، والبروفسير

يسأله في دهشة ماذا يفعل ، وهو يتجاهل تماما وجود البروفسير
وأُسئلته . ثم التفت اليه اخيرا ودعاه للجلوس .

فلما استقر البروفسير في المقعد بجواره ، كان الدكتور
جميل في ذروة انفعاله ، يردد بلهجة آلية آسفة ، أنه لا يعرف
هذا الشخص ، ولكنه اضطر الى أن يأخذه معه في الطريق ،
نعم كان مضطرا بعد أن جاءه رجال الشرطة ، واعترضوا طريقه ،
وتوسلوا اليه أن ينقله ، يبدو - هكذا مضى الدكتور جميل في
تأليف قصته - يبدو أن جريمة حدثت في قرية هذا الرجل ،
ويبدو أنه مكلف بالذهاب الى قرية مجاورة نصلها حالا
لأمر هام .

بدأ الدكتور جميل يسترد بعض سيطرته على أعصابه ،
وهو يتمادى في تأليف قصته مصورا نفسه مواطننا يقوم بواجب
وطني في خدمة بلاده ، وتلبية لطلب رجال الشرطة . ولكنه غير
مطمئن تماما للرجل ، فمن يدري ما دور هذا الفلاح فيما يرويه
من أحداث .

اهتم البروفسير جاستون بهذه المعلومات ، وقال لحميل
برهان ، انه لا داعي لعدم اطمئنانه ما دام الشرطة هم الذين
طلبوا منه نقل الرجل ، وربما كان متعاوننا معهم ، ثم أردف
ضاحكا :

— اذن .. فهناك جريمة عاطفية .. اوه .. لا .. لا هذه هي الجريمة التي لن يخلو منها مكان في العالم .. ولن تختفي في زمن من الأزمان .. أليس كذلك يا عزيزي مسيو برهان ؟

ضحك العزيز برهان في عصبية موافقا على كلام العزيز جاستون ، وقد نسي تماما رأيه السابق ، وأنه منذ وقت قصير كان يبدى إشمئزاه لهذا الفلاح الذي يجلس خلفه ولا يعرف عن وجود مثل هذه الجريمة التي هي مظهر من مظاهر التخلف .

وسأله جاستون فجأة ، اذا كان يستطيع أن يتحدث مع الفلاح ، منها مسيو برهان الى أنه تأخر في تقديم كل واحد منهما للآخر ، ولم ينتظر جاستون الاجابة على سؤاله ، فقد التفت الى الفلاح ، وقال له بالفرنسية ان اسمه آرمان جاستون وانه سعيد جدا بلقائه .

قال الدكتور جميل للفلاح ان الخواجة يريد أن يتحدث اليه ، وانه يقول له ان اسمه آرمان جاستون ، وهو يريد أن يعرف اسمه . فقال الفلاح بسرعة أن اسمه ربيع عبد ربه ، وأهلا وسهلا ومرحبا بالخواجة .

وألقي جاستون أسئلته مباشرة للفلاح . انه يريد أن يعرف شعوره نحو الأجانب ، ما رأيه ؟ هل يعتقد أنهم أشرار ؟ هل

يكرههم ؟ هل يتصورهم مستعمرين ؟ حاول الدكتور جميل أن يترجم بدقة أسئلة جاستون ، واستمع ربيع عبد ربه الى ما يقوله الدكتور ، ومضت لحظات وهو لا يجيب •

وقال الدكتور لزميله انه يعتقد أن الرجل لم يفهم الأسئلة ، فهمس جاستون أنه يلاحظ انه يفكر ، وبالفعل أجاب ربيع قائلا : انه يعتقد أن الخواجة رجل طيب ، وأنه يلاحظ سماحة وبشاشة في وجهه • ترجم الدكتور اجابة ربيع ، فهز جاستون رأسه باسم ، وقال له : أنت رجل ذكي • فقد أعدت صياغة سؤال • ورفضت أن تصدر أحكاما عامة تتورط فيها واكتفيت بأن تتحدث عن مشاعرك الطيبة نحوى •

وترجم الدكتور جميل كلمات جاستون بلهجة ساخرة ، فقال لربيع : ان الخواجة لا يسألك عن نفسه ، وانه يسأله عن جميع الخواجات • فقال ربيع باسم : انه لا يستطيع الاجابة على هذا السؤال ، لأنه لا يعرف جميع الخواجات ، ولكنه يعرف أن في بلادهم أشياء حلوة كثيرة •

وأصر جاستون أن يعرف هذه الأشياء الحلوة التي يعجب بها ربيع ، فقال على الفور : ان أهم شيء في رأيه هو الأدوية ، ثم قال في مرح مخاطبا الدكتور جميل : قل للخواجة ان بلادهم

حلوة بنسائها • وضحك جاستون مهللا ، وسأل ربيع اذا كان يريد أن يتزوج واحدة منهم ، فقال ربيع وقد تهلل وجهه أن هذا هو منى العين • نظر الدكتور جميل الى جاستون بغضب لا يدرى كيف يخفيه ، وتفرس في وجه جاستون ، واستراح بعض الشيء لرؤيته علامات الشيخوخة وقد تسربت الى ملامح هذا الفرنسي الداعر • وألقى جميل برهان نظرة الى مرآة السيارة ، يبحث عن علامات مماثلة في وجهه ، ولكنه ما كاد يرى وجهه حتى نسى ما الذى كان يبحث عنه بنظراته •

وسمع جاستون يسأله اذا كان قد تزوج ، كان يسأله في وقاحة ، فأجاب باقتضاب أنه لم يتزوج ، ولا يظن أنه سيتزوج فاسترسل جاستون في وقاحته يسأله كيف يمتنع عن الزواج ، في بلاد يعرف أنها تنظر بغير فهم ، أو ربما عدم ثقة ، الى الرجال غير المتزوجين •

ثم أضاف جاستون : انه حتى في بلاده يوجد من يتشككون في غير المتزوجين •

يا لجرأة الرجل • هذا الذى يعيش في العار ، هذا الذى جعل من بيته وكرا للفجور والفسق يتحدث عن أهمية الزواج • قال برهان بلهجة قد تكون جافة ، انه لا يعجبه الزواج على الطريقة الفرنسية ، ولا الزواج على طريقة ذلك العمدة الذى

أطلقوا عليه النار • ثم قال في كبرياء : « دعوني أنفجر عليكم
أيها المتزوجون » ♦♦

واستولى على الدكتور جميل شعور جارف بالرغبة في
تحطيم هذا الفرنسي ، رغبة مجنونة ، ملحة ، وقال للفلاح :
ان هذا الخواجة الذي تقول عنه أنه طيب جاء من بلاد لا تعرف
الشرع ولا أحكام الدين ، لذاؤهم لا يعرفن عفة ولا طهارة ،
فقال الفلاح في هدوء : ان الخواجة رجل طيب ، فصاح فيه
الدكتور جميل : أتخشى شيئاً أيها الرجل ، انه لا يعرف لغتنا ♦♦
ولن يؤذيك لو قلت عنه أى شيء • فقال الفلاح في اصرار
غبي : ان بعض الظن اثم •

وأشار الى الطريق منها الدكتور جميل الى أنه وصل
الى الجسر في بركة السبع • ووقفت السيارة ، وهبط ربيع
عبد ربه ، ومد يده بورقة القروش العشرة ، فرفض الدكتور أن
يمد يده ويأخذها ، وقال له غاضباً : توكل يا رجل ، واذهب
لحالك • فد ربيع يده يصافح الخواجة ، وانطلقت سيارة
الدكتور تفلت من هذا المكان ، تنجو من هذه الفضيحة
المتشكلة في هذا الفلاح ذى الرائحة العطنة

وسأل جاستون عن الورقة المالية التى أراد أن يقدمها
الفلاح لصاحبه ، فقال له جميل : ان الرجل يتوهم أنى مجرد

سائق مثل سائق السيارة اليجو التي كان يركبها • قال جاستون : انه لا يظن أن هذا هو ما يرمى اليه مسيو « رابى » ، وأنه فى حقيقة الأمر كان يعرض أجرة ركوبه ، لأنه يحترم العمل ، ويتصرف كما يتصرف أى رجل شريف • وأن هذا التعارف الذى تم بينه وبين هذا السيد قد كشف له عن هوة حضارية وثقافية كبيرة بين رجلين ينتميان الى بلد واحد • فتنهد الدكتور جميل ، وقال وهو يستعد لأن ينقل للبروفسير الفرنسى أنباء ترشيحه للوزارة : انه ما زال أمام البلد الكثير • فاذا بالبروفسير يقول له أنه يشعر أن هذه هى الكلمات التى يود أن يقولها مسيو رابى ، لأنك يا عزيزى مسيو برهان لم يعد أمامك شىء بعد أن وصلت الى قمة المجتمع ، فقال له مسيو برهان ساخرا انه واهم ، ولا أكتمك يا عزيزى البروفسير سرا ، فأنا أستعد لتولى الوزارة ومواجهة أعباء خطيرة ، وهنا هتف جاستون فجأة : آه • • فهمت الآن لماذا طلبوا منى الاتصال بك فوراً !

وثب قلب الدكتور جميل برهان وهو يسأل من هؤلاء الذين طلبوا من البروفسير أن يتصل به ، فقال له : ان السفارة هى التى أبلغته وهو فى الأقصر بضرورة هذا الاتصال ، وضحك جاستون قائلاً : انهم لابد أن سمعوا بأنباء ترشيح مسيو برهان للوزارة • فهمس الدكتور جميل برهان بأن مثل هذه الأنباء تتسرب بسرعة •

وأحيانا يكون ذلك قبل الأوان ، ثم أضاف بلهجة حزينة انه يتمنى لو كانت لدى الادارة المصرية هذه القدرة على العمل بمثل هذه السرعة ، فأنتم لا تضيعون وقتكم أبداً . وقال جاستون بلهجة غامضة ، وكأنه يفكر فى شىء يقلقه : انه ليس واثقا تماما من كل ما يفعلونه ، وان هذا النشاط قد يكون مجرد جرى لاهث وراء أوهام . ثم تعيرت لهجته وسأل بصورة عملية : هل تقبل الدعوة يا عزيزى برهان ؟ هل أبلغ سفارتنا بموافقتك ؟

فأجاب برهان أنه يقبل مبذئيا .. الا اذا جدت ظروف أخرى .. فهتف جاستون أن الوزارة لن تعدل شيئا من البرامج فالدعوة مستمرة .. بل ستكون فى غاية الأهمية .. فردد برهان موافقا .. نعم .. نعم .. لاشك فى هذا يا عزيزى مسيو جاستون .

وهنا سأل جاستون ، اذا كان يستطيع أن يذهب به الى أقرب مكان يستقل منه سيارة أو قطارا الى القاهرة . انه لا يستطيع أن يواصل الرحلة الى الاسكندرية ، بعد أن انتهى من مهمته ، ويريد أن يكون فى باريس بعد يومين . سيحتفل بعيد ميلاد حفيده . لقد أصبحت جدا لحفيد وحفيدة يا عزيزى . قال برهان فى عصبية : انه لا بد يشعر بالشيخوخة . فاعترض

جاستون على ذلك ، وقال : ربما ابنتى ايزابيل هى التى تشعر بها • وفجأة التفت الى الدكتور جميل برهان وقال له : أنت تعرف ايزابيل • لقد رأيتهما • فقال برهان محاولاً أن يتذكر ، انه لا يظن انه رآها •

فقال جاستون انه واثق أنه رآها فى بيته • فهو لن ينسى ذلك اليوم ، عندما جاءت ابنته لتزوره وجاء جورج ابن زوجته ليزورها • كيف تنسى تلك الليلة يا عزيزى ؟

اندفع الدم الى وجه الدكتور جميل وشعر به يضغط على عينيه ورأسه ، ولم يعد يسمع • الرجل يهذى • يكذب • واستمع الى كلمات تصك أذنيه على الرغم منه • حياتنا ليست سهلة يا عزيزى برهان • نحن جيل الحرب العالمية • • ماتت زوجتى وهى فى بيتها بقبائل الألمان • وأنا نجوت من الموت فى الأردن • ونجوت من الموت فى صقلية • ونجوت من الموت فى انزويو • كانوا يموتون من حولى ولا أموت • وعدت من جبهة القتال لأجد ايزابيل فى ملجأ • أما سوزان فماتت زوجها فى تونس ، وتركها مع ابنها جورج • بعد الحرب لا بد أن نعيش بذكرياتنا وآلامنا • نحن الأحياء نتقارب وتتساند • يوم جئت لزيارتنا فوجئنا بمقدم ايزابيل من مدرستها حيث تعيش فى الداخلية وفوجئنا بعودة جورج فى نفس اليوم من جامعته فى ليون • وصلاً قبل موعد انتظارهما بيوم • • انك

لا تدري أى مشاعر تستولى على عندما أرى ايزابيل • كيف
أعوصها عن الحرمان الذى عانت منه • الحب • الحنان •
الأمومة •

قال الدكتور برهان : ميل وهو يقف بسيارته عند موقف
سيارات خارج مدينة طنطا : تستطيع أن تركب هذه السيارة
البيجو الى القاهرة •

ما كان البروفسير أرمان جاستون يستقر فى السيارة
البيجو ، حتى دوى صوت ارتطام شديد له دوى هائل • وقفز
الناس من كل مكان ، يسرعون الى السيارة الفيات الجديدة التى
اصطدمت بسيارة نقل كبيرة محملة بالرمال • حدث هذا فى
نفس اللحظة التى تحركت فيها السيارة البيجو الى القاهرة ،
وفكر سائق البيجو لحظة فى التوقف ، ولكنه عاد وقرر أن
يمضى فى طريقه ، وانطلقت التعليقات بين ركاب السيارة حول
ذلك الحادث الذى وقع هناك فى الجانب الآخر من الطريق
بعد محطة البنزين • ولم يفهم البروفسير ما الذى يتحدثون
عنه ، ولم يستطع أن يتبين فى جلسته سيارة الدكتور جميل برهان
التي تهشمت تماما •

استمر علاج الدكتور جميل برهان أربعة شهور قضى منها
شهرًا فى مستشفى طنطا ، وتم التعديل الوزارى الذى تجاهل

الدكتور لا لسبب - في رأيه - الا لسوء حظه ، والحادث الذى
هشم ضلوعه وأصابه بكسر فى الحوض ، وآخر فى ذراعه
الأيسر •

انهم لا يعينون فى الوزارة رجالا فى الجبس ، واعتذر
الدكتور جميل برهان عن حضور ندوة البحر الأبيض المتوسط
فى باريس • ولكنه بدأ أخيرا يسترد صحته ويستعيد نشاطه ،
ويواصل حملاته الأخلاقية •

وما زالت تلك القصة المؤثرة التى يرويها عن الانحلال
الخلقى كما شاهده بعينه فى أوروبا ، وفى باريس بالذات ، تنال
اعجاب سامعيه • أما حديث البروفسير جاستون معه عن انته
ايزايل فقد نسيه تماما • فمن خصائص المخ البشرى أنه يحو
أى تسجيلات لما يحدث للمصاب قبيل الحادث ، وأثناءه
وبعده ، لفترة كافية ، حتى يتخلص المصاب من ذكرى صدمة
كادت تودى بحياته •

الرجل المناسب

بعد قليل سوف أخرج لهم من هذا الحمام لأعيد لهم ثقتهم بى ويطمئنوا الى اتصارى على الدكتور محمد السيد رئيس الشركة • المطلوب منى الآن هو بعض اجراءات سريعة • أمشط شعرى هكذا ، وأسوى شاربى ، وأسكب بعض قطرات من زجاجة الكولونيا الفاخرة « بورآن أوم » ليفوح عطرها فى جو الحجرة فيحدث التأثير السريع • آه ما أصعب المهمة • وما أشق المعاناة • لا ولكن • الحمد لله ، وجهى مازال وسيما أيضا • بشرتى بيضاء • وعينائى خضراوان ، وشعرى أشقر ، وهذا الشارب يضيف الى وسامتى هبة ووقار • قامتى فارعة ، وجسمى رياضى • ها هى المرأة تؤكد لى انى مازلت فى أحسن حالاتى ، وتقول لى ان كل الهموم التى تنهشنى سوف تزول

حتما • ان محمد السيد لن يصمد أمامي في هذه المعركة ،
 وسيعلم الجميع في هذه الشركة أن شوكت منصور مدير مام
 الشركة هو الرجل الأقوى ، هو الرجل المناسب في المنصب
 المناسب ، لا بد أن اصلح رباط عنقي ، انه رباط عنق جديد من
 طراز « جالك فات » آخر موضة • آخر صيحة ، ثمنه هو
 والمنديل خمسة جنيهات استرليني ، أى عشرة جنيهات مصرية •
 لاحظت صباح اليوم بقعة زيت في رباط عنق محمد السيد ،
 لعله زيت الفول في طعام افطاره ، لم أر في حياتي رئيس شركة
 رث الثياب فقير الذوق في ملابسه مثل محمد السيد • أن شركة
 التجارة الآسيوية الافريقية تفقد سمعتها في السوق المحلية
 وفي الأسواق العالمية بسبب بهدلة رئيس مجلس ادارتها • يقولون
 انه متعلم ومثقف ودكتور في الاقتصاد كلام فارغ • لم يخرب
 اقتصاد البلد وتجارها غير هؤلاء الدكاترة البلهاء الذين لا يفهمون
 الحياة ، وتنقصهم الخبرة العملية بالظروف والناس ، وهم أجهل
 من دابة في شؤون العلاقات العامة التي هي روح الأعمال
 التجارية • أنا أيضا مثقف وحصلت على بكالوريوس التجارة •
 ولكني لم أتلّف عقلي بالنظريات والدراسات الأكاديمية • ان
 الانجليز والفرنسيين لم يستعمروا افريقيا في القرن التاسع عشر
 بالنظريات ودكاترة الاقتصاد • سيطروا على افريقيا بالخرز
 الملون ، الذى بهر وسحر القبائل الافريقية فتنازلوا عن أراضيهم
 ومواشيهم مقابل هذا الخرز • أنا أعرف مصلحة الشركة ، وأفهم

السوق ، ولن أسمح لأمثال هذا الدكتور أن يخربوا العمل الذى قمت به خلال الخمسة عشر سنة الماضية . لقد كافحت ، وعانيت الذل والمهانة فوق ما يستطيع البشر لأنجح فى عمل . وكنت دائما الرجل التزيه الشريف ، وأكثر من هذا كنت دائما الرجل الأليق الوسيم الذى يشرف بمنظره وهيئته أى شركة على أى مستوى فى العالم . كانوا يسألوننى وأنا فى أوروبا : هل أنت المانى ، هل أنت أمريكى ؟ وكنت أقول لهم فى زهو : أنا مصرى . موقف مشرف للشركة وبلدى . ولكنى دفعت الثمن غاليا كل ملهم فى مرتبى أنفقه على مظهرى ، حتى العمولات التى يثيرون حولها ضجة سخيفة حاقدة . أين ذهبت ؟ أنا لا أملك عزية ولا عمارة ، صحيح ان لى مسكنا فاخرا ولكنه ضرورى لعملى . أنا الذى يقيم حفلات الكوكتيل لعملاء الشركة . أنا الذى يدعو السفراء والملحقين التجاريين الى حفلات ساهرة فى بيته ، ولا يخجل محمد السيد وهو رئيس الشركة من أن أحدا لم يدخل بيته يوما من الأيام . ولم يشرب أحد فنجان قهوة معه فى صالون فهو بخيل تثن . انه فضيحة علنية مستحيل السكوت عليه بعد الآن .

على أية حال ، لقد تبدل على رئاسة الشركة خمسة رؤساء مجلس ادارة فى الخمس سنوات الأخيرة . هناك من ذهب لارتباطه بمراكز القوى القديمة ، وهناك من ذهب بعد أن ثارت

الأشاعات والأقاويل حول مركز الشركة المالى وتدهوره الى حالة الافلاس • وهناك من ذهب بانتقاله الى رحمة الله • ولكن جميع هؤلاء الذين ذهبوا كانوا يعتمدون على ، وكنت دائما ساعدهم الأيمن الذى يريد لهم العمل وسيطر على كل كبيرة وصغيرة فى الشركة لانهم كانوا عقلاء أصحاب نظر ، فمن يجدونه أفضل منى مظهرها وأناقة ووسامة ولباقة • لم أزعج واحدا منهم بكلمة • يسألوننى عن أحوال العمل • كله تمام يا أفندم • يسألوننى عن الميزانية • سنحقق أرباحا تزيد على أرباح السنة الماضية يا أفندم •

كنت أنحمل وحدى كل المشاكل ، وأواجه وحدى كل الأزمات • وكانت البنوك تمتنع أحيانا عن اصدار خطابات الضمان للعملاء ويتأخر استيراد السلع ، أو تلغى الصفقات • فلا أزعجهم ولا أربكهم ، وأدخل عليهم مبتسما هادئا • فيفرحون بى ، وأقول لهم ان الأحوال على خير ما يرام • وأذهب الى مدير البنك وحدى ، وقد ارتديت بدلة بيير كاردان ورباط عنق كريستان ديور ومنديلا من نفس الطراز ، وقميصا مقلما أزرق بخطوط سوداء ، اشتريته من «أوستن ريد» فى « ريجنت ستريت » وهو أفخم وأعلى محلات لندن • المحل الذى يشتري منه عمر الشريف وريتشارد بيرتون وغيرهما من كبار الممثلين العالميين ملابسهم ، وكنت أستخدم كولونيا جديدة « بالافر »

اشتريتها من مطار أورلي في باريس • وكان معي سيجار هافانا
« مونت كريستو » السيجار الواحد ثمنه جنيه ونصف • كنت
مسلحا بجميع أنواع الأسلحة الحديثة • آخر ما وصلت اليه
تكنولوجيا العصر • وطبعا انهارت مقاومة المدير ، وهو يراني
بكل هذه الفخامة أتوسل وأتذلل له • اني أعلم أن هذا التذلل
يرضى غروره ، أي مجد يطلبه في حياته أكبر وأعظم من أن يرى
فارسا وسيما مثلي يكاد يقبل يده • وهكذا تسير الأمور ،
بالخبرة والعلاقات العامة • لا بالكتب والنظريات والاحصاءات
والمذكرات •

لقد انقذت الشركة من افلاس محقق بوسائلى الخاصة
في عشرات المناسبات ، وتحملت وحدى العذاب والألم • هانت
على نفسى ، ولم أرض للشركة الهوان • كان قلبى ييكى ، وكنت
أتناول أقراص المهدئ لأنام ، بينما رؤساء الشركة يغطون في
نومهم ويعلمو شخيرهم في بيوتهم لا يدرون شيئا عن العذاب
الذى أنا فيه • حياتى دوامة قاسية ، طاحونة تسحقنى كل يوم ،
وأنا أبحث عن آخر الموضات ، وأتذلل وأجامل وأنافق كل من
هب ودب من رجال الأعمال • أصبحت نفقاتى فوق طاقتى •
لا المرتب يكفى ، ولا العمولات تسعفى • العمولة الأخيرة من
صفقة « الجوت » ذهبت في العربة البوتياك التى كلفتنى ثمانية
عشر ألف جنيه • كان لابد لى من عربة أمريكانى جديدة حتى

أستطيع أن أضعها في خدمة المستثمرين الجدد الذين بدأوا
 بدأوا يترددون علينا مع الانفتاح • لا أستطيع أن أحشرهم في
 عربة نصر ١٢٨ • فهذا عيب ، ويضر بسمعة الشركة ، ومن حسن
 السياسة أن نقول للمستثمرين الأمريكيين أننا نعجب بسياراتهم
 وببضاعتهم لنشجعهم على الدخول بأموالهم في مشروعات في
 بلدنا • المظاهر ضرورية ، وبغيرها لن ينجح العمل • لقد ثار
 بعض الموظفين وكتبوا الشكاوى للمسؤولين بسبب هذا
 الحمام الملحق بحجرة مكتبي • جهلة سفلة منحطون • هل
 إذا سألتني زائر أجنبي أن يدخل التواليت • أذهب به الى تلك
 المبولة القذرة التي يتبولون فيها على البلاط وتفوح منها
 روائح قاتلة ، لو زكمت أنف الزائر فلن يعود إلينا مرة ثانية ،
 لسبب بسيط : انها ستقتله على الفور • قيشاني الحمام أزرق
 مستورد من ايطاليا ، والمرآة صنع بلجيكا ، والباينو من
 هونج كونج ، والدوش على شكل سماعة التليفون اشتريته من
 قبرص ، والسخان فقط هو الذي أحضرناه من المصانع الحربية •
 حمام لا بأس به • لو عرف هؤلاء الأغنياء سر المهنة ، لأقاموا لى
 حماما مثل حمام بلقيس ملكة سبأ • هنا مقر القيادة الحقيقى
 لأعمال الشركة ، ومن هنا سوف أخرج لأضع اللسمات الأخيرة
 في معركتى مع محمد السيد •

عندما تولى رئاسة الشركة منذ ثمانية شهور خيل الى أنه

سوف يعتمد على مثلما فعل الآخرون • بمجرد دخولي عليه ،
استوليت على مشاعره • بهرته كما بهرت الآخرين • سألتني عن
أحوال الشركة • اطمئن يا أفندم •

قال لي انه سمع أن هناك مشاكل مالية • قلت له : انها
اشاعات ، وان الشركة سوف تحقق في أيامه أرقاما قياسية في
الأرباح ، وفي حجم التعامل • كنت أتحدث معه وأنا واقف في
أدب وطاعة • صوتي رقيق ذليل خاضع • سقطت منه ورقة
على الأرض ، فجريت منحنيًا حتى كاد رأسي يلمس حذاءه ،
وأخرجت الورقة من بين قدميه وقدمتها له • عندما خرج من
مكتبه ، وجدني واقفا عند الباب ، سرت وراءه كالشريفاتي حتى
المصعد ، وهبطت معه حتى باب الشركة ، وفتحت له باب سيارته
القولكس ، وأنا انحنى في أدب ، وشحنته كما يشحن الكهربائي
البطارية الفارغة ، بكل مشاعر السيطرة والسلطة على شخصي •
واستسلم الرجل • ولكنه بدأ في الشهرين الأخيرين يطلب طلبات
عجيبة : احصاءات عن معاملات الشركة ، بيان بالعملاء ، استدعي
فرقة من المحاسبين لمراجعة الدفاتر واعداد الميزانية في وقت
مبكر • قلت له ألف مرة : يا أفندم لا تشغل نفسك ، اطمئن ،
ولكنه فاجأني بأنه ذهب الى مدير البنك بنفسه • وعلم منه أن
معاملات الشركة معطلة ، وأن حالتنا المالية سيئة • قلت له بكل
ما عندي من صدق واخلاص : يا أفندم اترك هذه الأمور لي •

هذه هي عادة مديري البنوك في تصوير الحالة • لقد تعودت على كلامهم هذا ، وأنا أعرف كيف اتفاهم معهم ، ولو دخلنا معهم في مناقشات ودراسات فسترتبك الحالة وتزداد سوءا • ولكنه نظر الى في ارتياح وقال بصفافة : أنت يا شوكت السبب •

ماذا أفعل ؟ انهمرت الدموع من عيني ، هل بعد كل هذه المعاناة من أجل انقاذ الشركة أكون أنا السبب • طبعاً ، أزعجته دموعي ، وقام وربت على كتفي • وقال انه لا يقصد الاساءة لي ، ولكن ما أهمية هذا الاعتذار بعد أن وقعت الفأس في الرأس •

خرجت من عنده ، وذهبت الى الحمام وأصلحت هندامى ، ثم تركت الشركة ، ومضيت الى الوزارة ، وطلبت مقابلة السيد الوزير • كانت لي فرصة لقاء به في مطار « أورلى » دامت ربع ساعة ، قدمت نفسى اليه • واشترت له بعض أربطة عنق فاخرة ، أعجب بها ، حتى انه بعد أن دفع لي ثمنها ، أهداني واحدة منها • ثم قابلته في القاهرة في أكثر من حفلة في سفارة ، وقد لاحظت أنه ينظر الى باعجاب شديد • ولذلك كنت واثقا أنه لن يتأخر في مقابلتي • ولكن مدير مكتبه قال لي انه مشغول بعدة اجتماعات لن تنتهى قبل الرابعة بعد الظهر •

فكرت في الانتظار ، ثم خطرت لي فكرة عملية • فسألت

مدير المكتب متى يأتى الوزير فى الصباح عادة ؟ قال فى التاسعة •
وسألته : هل لديه مواعيد أو ارتباطات خارج الوزارة صباح
الغد ؟ فقال : لا •

وهكذا كنت أمام بيت الوزير فى الزمالك فى الثامنة صباح
اليوم • وقفت بالعربة البونتيك أمام الباب ، وحيانى الحارس ،
ودخلت الحديقة الصغيرة ، وصعدت درجا من الرخام الأبيض ،
الى باب الفيلا • وقبل أن أدق الجرس ، فتح الباب • ولدهشتى
كان سيادة الوزير أمامى ، ومعه ابنه الصغير فى ملابس المدرسة •
ان سيادته والد حنون • يهتم كثيرا بأولاده • وما كاد يرانى
حتى عرفنى ، وعرفت كيف أنحنى بأدب واعتذار ولباقة •

ولاشك أن مظهرى كان مرضيا • وانحنيت على اليك
الصغير وقبلت يده • ومن حسن حظى أن الولد أعجب بى ،
ومد يده الى شاربى يتحسسه ، فجلست القرفصاء لأسمح له أن
يلعب بشاربى كما يريد • وضحك الوزير • وضحك الولد ، وهو
يجذب شعرات من شاربى • وحاول الوزير أن يجذب ابنه ،
وأنا أردد : ما شاء الله • ما شاء الله • اتركه يا أفندم الاطفال
أحباب الله •

وهنا صاح الولد قائلًا :

— الله ريحتك حلوه •

وأدركت أن « بور آن أوم » قد أحدثت تأثيرها • ولاحظت أن الوزير ينظر الى في اعجاب • وهنا ارتفع صوت بوق سيارة المدرسة فأخذت الولد من يده وسرت به الى الباب ، وحملته بين يدي وأركبته السيارة • ثم عدت الى سيادة الوزير الذي طلب لى فجان قهوة • وسألنى عن أحوالى ، وهل لى زوجة وأولاد ماذا أقول له • رغم أن مظهرى جدير بأن يجعل زوجتى تفخر بى والبنتين تزهران بأب مثلى الا أن العلاقات بيننا ميئوس منها • قلت له : نعم لى عائلتى • ثم قلت : يا أفندم أنا ألجأ اليك فى موضوع قد تسخر منى بسببه • الشركة حالتها والحمد لله عظيمة ، وليست هناك مشاكل غير عادية • تحدث أحيانا بعض اختناقات ، فأعاليجها • وجميع رجال البنوك أصدقائى • ولكن للأسف الشديد ، الدكتور محمد السيد رئيس مجلس الادارة قرر أن يعقد الأمور • فبدأ يثير المشاكل بنفسه مع البنوك ، ويطلب احصاءات ، ويكتب تقارير ودراسات ومذكرات ، وتركنا العمل وتحولنا الى كلية تجارة لا شركة تجارة •

ضحك الوزير قائلاً :

— أنا فاهم تماما ماذا تعنى • فماذا تريد ؟

قلت باسم :

— والله يا أفندم لا أريد شيئاً على الإطلاق • سوى أن
نستمر في العمل ، دون أن نربك أنفسنا بغير مبرر • لا داعي
لتعقيد الأمور •

قال :

— طبعا • وعلى أى حال أطمئن • فأنا أعرفك • وأعرف
افك رجل كفاء •

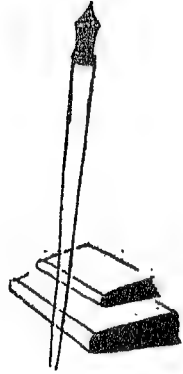
فغلبنى التأثر • وأغرورقت عيناي بالدموع فأشاح الوزير
بوجهه حتى يترك لى حرية اخراج المنديل لمسح دموعى • ثم
خرجنا معا هو ركب سيارته الى الوزارة ، وأنا ركبت سيارتى
الى الشركة •

كان الدكتور محمد السيد فى مكتبه ، فدخلت عليه ، وقلت
له فى حرارة : انى لم أنهم طوال الليل لأعد ما يطلبه من أرقام
وبيانات • وقلت له بصوت متهدج : انى خادمه المطيع فى كل
ما يأمر • واذا كان لا يطمئن الى ، فأنا على استعداد لكتابة
استقالتي فى الحال • فقال معتذرا : لا • شوكت •• كل
ما أطلبه هو أن نواجه المشاكل التى تحاصرنا بجديّة •

قلت : طبعا •• يا أفندم •

وخرجت من عنده وقد تأكد لى أن المشاكل سوف
تتضاعف وتتفاقم ، ما دام هذا الرجل هو رئيس شركتنا •

الآن سوف أخرج للمديرين المجتمعين فى الحجرة • وسوف
أطلب منهم أن يمتنعوا عن إعطاء أى بيان أو احصاء لأحد مهما
كان ، بغير اذن منى • حتى لو طلب البيان رئيس الشركة بنفسه •
انها المعركة • والنصر لى • والآن •• بضع قطرات من الكولونيا
أمسح بها وجهى ، قبل أن أفتح باب الحمام ، وأدخل عليهم •



قصة الحكمة بأحالة الأوراق الى المفتى

فتح عينيه لاهثا ، وحاول أن يفهم ماذا حدث • انها مرة أخرى تلك الأحلام المفزعة التي تطارده • كان ضوء النهار يتسلل من النافذة المغلقة ، وأصوات الشارع تصل اليه واضحة ، سيارات تهدر ، وصياح سعداوى سايس الجراج ، وذلك الصوت الحاد القاضب ، صوت الحاج شندى النوبى صاحب كشك السجائر • خير • اللهم أجعله خيرا • لقد استيقظ ، كان مجرد حلم • زينات فى الاسكندرية عند شقيقتها • ما كان يجب أن تسافر • انها الشرخ الوحيد فى حياته ، العطب الذى عجز عن اصلاحه ، هل هو عاجز حقا ، انه عجوز ، ولكنه ليس عاجزا ، زينات حبه ، زينات زوجته ، زينات ورمته • انها امتحان

ما كان يجب أن يدخله ، ولكنه دخله وانتهى به الأمر الى هذه الاحلام المفزعة ، التي يعرف بكل دقة سببها •

زفر أنفاسا حادة ، يريد أن يهدأ ويستريح بعد نومه المرهق ، واستعاد صور هذا الحلم الأخير : كان جالسا في حجرة مكتب عبد الله فخرى رئيس النقض ، نعم •• كان مكتبه ، وكان فخرى يجلس خلف المكتب ، وهو جالس أمامه • وكانت الحجرة معتمة • كأنها ساعة غروب • وكان يشعر كما لو كان فخرى قد استدعاه • وكما لو كان تلميذا يستدعيه ناظر المدرسة ، كان مخرجاً قلقاً في صدره هلع • كما لو أن اهانة قد أصابته ، أيصل الأمر الى هذا الحد • ان فخرى صديقي • ويستحيل أن يحدث بيني وبينه لقاء على هذا النحو • كان فخرى ينظر الى من خلف مكتبه ، عيناه نافذتان وقحطان • وكان وجهه الصعيدي الأسمر الطويل متجهما • وسألني :

— تأخرت يا يوسف •

أجبتة كالتلميذ المذعور يعتذر لأستاذه :

— امهلني بعض الوقت يا فخرى •

صاح فخرى :

— ولكن الحكم •• متى الحكم يا يوسف •

وتداعى جسد المستشار يوسف منصور وهو راقد فوق
سريره • هاجمته أحزاق طاغية لا تسمح له بمواصلة تذكر
الحلم • ولكن لابد أن يجمع شتات نفسه ويتذكر •

كان فخرى يقول له :

— أنت متردد •• وهذا خطر •

وأجابه يوسف :

— انه حكم اعدام •

وهنا ربت فخرى على خده ، كيف حدث هذا • كيف
انتقل فخرى من وراء مكتبه اليه • ويكاد يلصق وجهه بوجهه •
عيناه فى عينيه • وبسمة غريبة على شفتيه ، وكان فخرى يسأل :

— هل أنت واثق •

لم يعد فخرى هو السائل • لعلها كانت زينات ، أو مصطفى
شكرى •• طبعاً •• لايد أن يظهر مصطفى فى كل حلم ،
كالعبدان • فهو سر المصائب ، هو واتحاده الاشتراكى •
وزاراته • ملعون ذلك اليوم الذى عرف فيه مصطفى عندما كانا
طالبين فى كلية الحقوق • كيف اختلط به ، ذلك الاتهام
الصفيق • كيف قامت بينهما صداقة • كيف استمرت هذه

الصداقة بينهما • أنا من عائلة ، وهو من الأفاقين • أبى وأجدادى كانوا دائماً أصحاب سلطة دينية : فى الأزهر ، فى الافتاء ، فى القضاء الشرعى ، وهو ابن شكرى أفندى الموظف ، الكاتب بادارة الجنايات بالداخلية •

قطع يوسف أفكاره ، وصوت يدوى داخله : « أنت على حق فيما فعلت » ونهض من فراشه وقد حزم أمره أن يتخلص من كل هذه الهواجس ، لولا أن الصوت الذى يهتف داخله استمر يقول بلهجة فيها ألم « الخوف أن تكون قد أدمنت أحوال الأوراق الى المفتى واصدار أحكام الاعدام » ولكن يوسف لم يسمح لهذا الكلام أن يطارده ، فاندفع خارجا من الحجرة ، ليوافه اليوم الثانى من غياب زينات عن البيت • ألقى نظرة على باب حجرة حسن ابنه ، انه لم يستيقظ بعد ، ونظر الى ساعة الحائط ، كانت الثامنة الا سبع دقائق • عندما كان وكيل النيابة مثل ابنه حسن ، كان من المستحيل أن يظل نائما حتى هذه الساعة ، وخرج الى الصالة ، فوجد الصحف فى انتظاره فى مكانها المعتاد حيث تضعها « أم نعيمة » بجوار التليفون : الأهرام وأخبار اليوم والجمهورية ، وأمسك بالصحف ، واتجه الى الحمام ، وقد استولى عليه الحزن من جديد وشعر بارهاق ، واكتفى بالتبول وهو واقف ، وعاد الى السرير ، وقرأ العناوين الكبرى فى الصفحات الأولى : « كيسنجر يبدأ جولة جديدة فى الشرق الأوسط » ، ولم يكمل فقد غلبه النعاس •

استيقظ للمرة الثانية فزعا ، كان هذه المرة يصعد الى مشنقة ، وهو المحكوم عليه بالاعدام ، ثم جرى مرتديا ييجامته في شوارع وحوارى معتمة ، ودخل بدرونا ، ومرق من أبواب كثيرة ، وسلاسل وناس تجرى وراءه ، بعضهم زنوج يمسكون بالحراش كالذين يطاردون طرزان في أفلامه القديمة .

لو استمرت هذه الأحلام ، فسوف ينتهى به الحال الى الجنون . سوف يعمل بنصيحة الدكتور بيومى ، أستاذ القلب فى الجامعة ، الذى أكد له أن قلبه سليم ، وقال له : اذا شعرت بوخز فى قلبك فتحرك ، وانشط بجسدك . لأننى واثق أن قلبك سليم مائة فى المائة . أعصابك هى المرهقة . سر على قدميك الى النادى ، خذ حظك من التسلية قبل أن تذهب الى عمك . وقاطعه يوسف :

— ولكن الذبحة وأمراض القلب منتشره بيننا فى القضاء يا دكتور .

فابتسم الدكتور بيومى وقال :

— ليس فى حالتك . مشكلتك هى الوهم . ونادى على « أم نعيمة » كان حسن قد خرج الى عمله ، وأعدت له الافطار ، الشاى والمربى والتوست وقطعة جبن « جريير » ثم ذهب الى

الحمام ليقتضى ساعته المقدسة • أنا لى ساعة مقدسة لا بد أن أقضيها فى الحمام ، بغيرها لا أستطيع أن أفعل شيئا طوال اليوم ، لا يخرج من الحمام الا وقد انتهى من قراءة الصحف • قرأ الوفيات فى الأهرام ، واطمأن الى أنه لن يذهب اليوم الى عزاء • ولت نظره حديث أدلى به مصطفى شكرى عن القطاع العام وضرورة تدعيمه : نحن لن نتخلى عن الاشتراكية • مكاسب الشعب لن يمسها أحد • لم يخرّب البلد الا أمثال هؤلاء المنافقين • أفسدوا كل شيء • حتى القضاء أفسدوه • وأتلفوا أعصابه ، انه يكظم غيظه ونفوره • وقد تعود ألا يتكلم فى السياسة ولا يفرط فى ايداء الرأى ، واذا اضطر الى تعليق ، اكتفى بأن يقول فى وقار : « ربنا يصلح الأحوال » •

خرج من البيت ، بعد أن اتصل بزميله المستشار رجب ، عضو اليمين ، وطلب منه أن يمر عليه فى النادى بعد ساعة ، ليدهبا معا الى المداولة ، أمامه ساعة كاملة ، يواجه فيها نفسه • وما كاد يخرج الى الشارع حتى تذكر مشهدا من الحلم الثانى • كان وهو يجرى بين الأزقة هاربا من المطاردة ، يردد : « ثقتى بالعجيزى مطلقة » •

وهمس يوسف وهو يبحث خطاه : « العجيزى ••
•• العجيزى » •

وتهمل فجأة ، وقد غاظه أن يهمس لنفسه ، وغازله أكثر

أنه أوشك أن يهرول في الطريق • ليس هكذا يمشى رجال عائلة منصور الذين اتصفوا بالوقار • ان للمشى في الطريق آدابته التي لا يعرفها أحد مثل رجال عائلته • انه ابن تقاليد عريقة ، وصاحب سلطة لم يحصل عليها من منصب ، سلطة ورثها في دمه ، أبا عن جد • وهو قوى بها ، يستطيع أن يعتمد عليها ساعة الملمات • ان مثله عنصر نادر ، وبين زملائه المستشارين قلة قليلة من هذه العناصر النادرة ، من أبناء رجال الدين الذين حصلوا على تربية صارمة جادة ، في ظل هبة الشريعة وسيادتها • كان أبوه الشيخ منصور يوسف يقول له - وهو يراه يستذكر القانون المدني أيام كان طالبا في كلية الحقوق :

« مهما درستهم شريعة الفرنجة •• وقانون نابليون ، وقانون جستنيان •• ومهما تبادى هؤلاء الحقوقيون في الأخذ عن هؤلاء الأجانب • فمازلنا نحن أصحاب الكلمة ، الحفاظ على شريعة الله • أنظر في أحوال الانسان من حولك تجد كلمة الشريعة هي النافذة في كل أطوار حياته • دينه يسجل منذ لحظة ولادته في شهادة الميلاد • رضاعته وحضائته ونفقته وهو صغير بشريعة الله • زواجه بشريعة الله • وفاته والتصرف في ماله بعد وفاته بشريعة الله ، وهذه أمور لن تمس ، ولن يجرؤ حاكم واحد على المساس بها ، ملكا كان أو رئيس جمهورية ، ونحن حراس هذه الشريعة • لقد تبديت قوة الاسلام السياسية عندما هزم التتار

الكفار المسلمين في بغداد ، وضاعت قوة الاسلام العسكرية
عندما انهار حكم آل عثمان في الحرب العالمية الأولى ، ولكن
الاسلام باق لن يمسه سوء • باق بكتاب الله الذي يتولى هو
سبحانه أمر صونه ورعايته • وباق بالشرعة والفقه ، بما نحملة
نحن من مسئولية جسيمة في الدفاع عنه » •

كان أبوه من الرجال الذين تحملوا المسئولية فعلا ، كل
لحظة من لحظات حياته ، كان دأبا وجلدا وعنادا في كل
مجال ، تدعيما للشرعة ، ولتنظّل الحياة ثابتة مستقرة لا تخرج
عن خطها المرسوم في شريعة الله • حارب كل تآمر وأهم يريد أن
يتحايل باسم الإصلاح والتجديد لينحرف عن خط الشرعة :
« سوف يسقطون جميعا أو يذهبون كما يذهب الزبد جفاء •
وتبقى الشرعة ويسود الفقه ، حتى يسترد الاسلام سلطاته
السياسية والعسكرية » •

كان أبى رجلا عظيما • وهو الذى عارض زواجى ، كان
يعرف أن بى عجزا •

وهنا صاح يوسف في دهشه "

— يا الهى • • لقد عرفت العجيزى •

وتوقف عن السير يتلفت حوله ، خشية أن يكون أحد

يرقبه • كان بينه وبين بوابة النادى مسيرة خمس دقائق • ومن المحتمل أن يكون أحد معارفه فى سيارة من تلك السيارات التى تمرق بجواره •

كان يوسف يعرف بعض مفاتيح تفسير الأحلام عند فرويد • فالكلمات التى تعبر عن المعانى الحقيقية تلتوى وتأخذ اقنعة مختلفة فى الأحلام ، وهو الآن يرى بوضوح أن « العجيزى » هو « عجزه » • وأنه عندما ردد فى الحلم : « ثقتى بالعجيزى مطلقه » كان يعنى أن ثقته فى عجزه مطلقه • أبوه هو الذى حذره من الزواج بزيئات • قال انه يجبها ، فقال له : ان شخصيته ضعيفة • وعارض أباه ، وصمم على أن يتزوج حببية قلبه ، ليثبت أن شخصيته قوية • ولكن الأيام كشفت له الحقيقة ، خدعته زيئات • استطاعت أن تحصل منه على ورقة يكتب فيها تنازله عن أملاكه لها • رجل قانون مثله لا يرتكب مثل هذا الخطأ أبدا • كان يعرف أنها ورقة لا تعنى شيئا ، وليس لها قيمة حقيقية • أكثر من التعبير عن عواطفه نحو زيئات • ومع ذلك أخذت الورقة • وذهبت بها الى مكتب صديقه مصطفى شكرى فى الخفاء • وطلبت منه أن يسجل التنازل • وان ينقل لها كل أملاكه •

كانت لحظة لا تحتل ، تلك التى جاءه فيها مصطفى • ليروى له ما فعلته زوجته • وينصحه بأن يلاطفها حتى لا تثير

باصرارها على تسجيل التنازل مشاكل وفصائح • أى زمان هذا الذى يحافظ فيه أمثال مصطفى شكرى على كرامة الناس وأملأهم • ولكن مصطفى كان على حق • وكان لابد أن يطلق زينات حتى بعد أن تراجعت وبكت واعتذرت • ولكنه لم يفعل • لم يطلقها • واحتفظ بأملاكه • وضاعت منه صداقته • وضاعت زوجته • وظلت الزوجة الضائعة زوجته • أما الصديق فقد ضاع فى غمرة تلك الحياة الجديدة التى شق طريقه إليها بالنفاق والخداع •

كان قد وصل الى بوابة النادى فاختار أن يتعد عن الأماكن التى قد يقابل فيها أحدا من معارفه • وانحرف الى أرض الجولف مواصلا سيره • وهو يشعر أنه يقترب من مكان بالذات لا يستطيع رغم ذلك أن يحدده •

حتى ذلك الوقت • لم يصدر حكما واحدا بالاعدام • لقد عجز • نعم • عجز تماما عن أن يفعلها • فهو ليس مثل صديقه رجب الذى اذا اقتنع بهول الجريمة وبشاعتها • واستقر الرأى فى المداولة على احالة الأوراق الى المفتى • قضى ليلته يصلى ويقرأ القرآن • وصلى الفجر حاضرا • ثم ذهب الى المحكمة ونطق بالحكم ثابت الجنان • كان يقول ليوسف هذه شريعة الله • ولنا فى القصاص حياة • ولكن يوسف يقول له فى عناد واصرار • مؤكدا شخصيته :

– يكفى المؤيد • لا أستطيع أن أكون سببا في أزهاق
روح •

وهكذا اشتهر بين المحامين قبل المستشارين ، ان الدائرة
التي يجلس فيها المستشار يوسف منصور ، أو التي أصبح
يرأسها فيما بعد ، لن تحكم بأى حال من الأحوال بالاعدام •
حتى كانت تلك القضية التي كان يتولى الدفاع فيها مصطفى
شكرى ، الجريمة ثابتة ، الرجل قتل ضحيته عند رأس الحقل ،
والضحية يبكى ويقبل قدميه ألا يقتله ، ثم قتل ابن الضحية وهو
صبى لم يبلغ العاشرة من العمر • وكل ذنبه أنه شهد الجريمة •
الاعدام واجب في نظر المجتمع • ولكن الجميع كانوا واثقين –
وعلى رأسهم مصطفى شكرى – أن الحكم هو الأشغال
الشاقة المؤبدة • وكانوا محقين في توقعهم لمنطوق الحكم •
يوسف منصور لم يحكم فى حياته حكما واحدا بالاعدام • لقد
حكم من قبل فى جرائم أبشع وأفظع بالأشغال الشاقة المؤبدة •
ولكن شيئا جديدا قد حدث • مصطفى شكرى نقل الى يوسف
أخبار زوجته • قبل هذه القضية بشهرين : هذه الواقعة قلبت
كل شيء رأسا على عقب •

الحقيقة أنى أصدرت الحكم على مصطفى شكرى ، فجعته
فى توقعاته ، خيبت آماله • رأيت وجهه يشحب لهول المفاجأة •
وهو يسمع بقرار احالة الأوراق الى المفتى • كنت لا أرى شيئا

غير وجهه الأبيض وعينيه الذاهلتين وفمه الفاجر ، وقد امتلأ صدرى بنشوة كبرى • جاهدت كثيرا لأخفيها خلف ستر الوقار •

انتبه يوسف على رجل من عمال أرض الجولف ، يجرى نحوه ، صارخا أن يتعد • وسمع ضجة من بعيد ، رأى انها تصدر عن جماعة من اللاعبين والعمال الذين يحملون أدوات اللعب ، وقد تعطلوا لأن يوسف يعترض مجال اللعب • ويعرض نفسه لخطر الإصابة بالكرة •

نظر يوسف الى الرجل فى وقار ، ورفض أن يسرع أو يهرول ، ومشى وقورا متزنا كما يجب أن يسير • راجعا الى حيث ينتظر وصول زميله المستشار رجب •

المشكلة أن هذه النشوة التى أحصل عليها وأنا أنطق بحكم الاعدام • أصبحت تسرى فى دمى • لو كنت قد أدمنت الخمر ، أو لعب القمار ، أو حتى النساء •• ولكن لا متعة لى سوى أى أنطلق بحكم الاعدام • أصبحت رئيس دائرة اعدام • الحكم يرضى الشريعة • يرضى القانون • يرضى المجتمع ويشفى غليله من المجرمين • ولكنى لا أحكم من أجل الشريعة ، ولا القانون ، ولا لأشفى غليل المجتمع ، أنا وحدى الذى يعلم أنها نشوة فى صدرى • نشوة تسرى فى دمى ، كما يسرى المخدر فى دماء المدمن • نشوة أسترها بالشريعة والوقار • آه لو كان

أبى مازال حيا • كان قد كشف سرى • هو وحده الذى كان
يستطيع أن يرى أعماقى • أما مصطفى شكرى فهو عاجز عن أن
يفهم أو يرى ، لأنه يغطى نفسه هو الآخر بأستار الاشتراكية ،
والقطاع العام ، والاتحاد الاشتراكى • لم أعد أراه الا نادرا •
وقد يحاول أن ينتظر ، ليقول لى :

— أما زلت رجعيا يا يوسف •

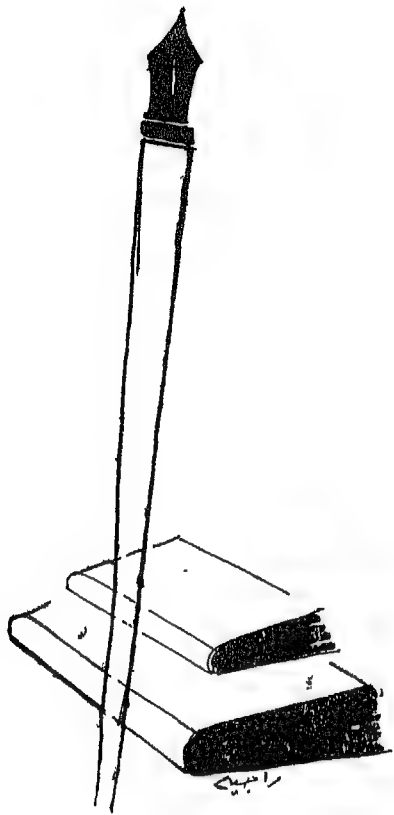
وأقول له ساخرا :

— وأما زلت شيوعيا ملحدا يا مصطفى •

ثم نفترق ، وكل واحد منا يود لو يكون هذا هو اللقاء
الأخير • ولكنى ألقاه كثيرا فى الكابوس الليلي • آه من تلك
الأحلام التى حرمتنى راحة النوم • كيف الخلاص منها •
اليوم سوف أقاوم تلك النشوة • انها نشوة آثمة • سوف أحرر
نفسى من سيطرتها • سوف أتخلص من هذا « العجيزى » • كل
شئ يضيع منى بسببه • انى أفقد كل شئ • أفقد كل ما تركه
لى أبى وأجدادى ، يجب أن أنقذ نفسى قبل أن أجن •

خرج يوسف من أفكاره ، وهو يرى المستشار رجب مقبلا
عليه • ليذهبا الى المداولة •

بعد يومين ، صدرت الصحف • تحمل خبر قرار محكمة
الجنايات برئاسة المستشار يوسف منصور ، بإحالة أوراق الشقى
أبو المعاطى الكبير الشهير بـ « الوحش » • الى فضيلة المفتى !!



بيروت يا عزيزى .. هى بيروت !!

الحكاية أن المستشار عبد الله الأمير ، وهو رجل فاضل
كما تعلمون جميعا ، أصر على قضاء أجازته فى بيروت . وهو
رجل وقور له أسرة كبيرة : زوجة وولدان وخمس بنات ، اثنان
منهن تزوجتا ، وأنجبتا له أحفادا ، والجميع - أولادا وأحفادا -
يتمتعون بما نسميه « بحبوحة العيش » . وهذا أمر متوقع ،
لأن عبد الله وقد بلغ الثالثة والستين مازال يعمل فى البلاط
العربية : يعقد الصفقات ويقدم الاستشارات القانونية ، ويكسب
شهرى آلاف الدينارات .

أصدقاء عبد الله الأمير القدامى ينادونه بلقب « بك »
وهناك بين معارفه من ينادونه بسعادتك ، ولا مانع إذا ناداه أحد
الناس بقوله « حضرتك » ولكن اللقب الذى ينفر منه عبد الله

هو لقب « السيد » وهو يتجنب تماما من يقولون له « سيادتك » ولعل آخر مرة قرأ فيها عبد الله الأمير اسمه مسبقا بلقب « السيد » كان بمناسبة الخطابات الرسمية بينه وبين وزارة العدل الخاصة باستقالته من منصبه كمستشار بالقضاء ، ولتتفرغ لأعماله في الخليج • وبذلك تخلص نهائيا من لقب « السيد » الذي نكب به الناس « المحترمين » من امرء ، وباشوات ، وأصحاب سمو ، وسعادة ، وعزة ، بعد الثورة التي هي عند عبد الله الأمير طاعون أصاب البلاد ، وهوى بها الى الحضيض • وهو حكم قاطع ونهائي أصدره المستشار على الثورة منذ يومها الأول ، لأنها غدرت بسيد البلاد جلالة الملك فاروق ، وجعلت الحكم في مصائر العباد لمن هب ودب من العجر الجياع ، وهذه مهانة ما بعدها مهانة •

يقول عبد الله الأمير وهو يحتسى متمهلا جرعة صغيرة من كأس البراندى في مجلس شرايه الليلي : « يا عزيزى القضية واضحة ، هل يشرفك أن يحكمك ملك ابن ملك ، أم يتحكم في حياتك صعلوك من سعاليك البلد ؟ » • وعندما يتقدم الليل ، ويحدث البراندى تأثيره المطلوب ، أى يصبح عبد الله في حالة نشوة هي مزيج من التوهج والاسترخاء يدفع في حماس عن كل ما قد يخز ببال أحد أن ينسبه للملك فاروق من مفاسد أو مبادئ : « انه ملك يا عزيزى ، وشاب مليء

بالحيوية ، لماذا لا يعرف من يشاء من النساء ؟ وهل هو الذي طلبهن ، أم هن سعين لاهنات وراء شرف النوم في سريريه » ثم يستخدم عبد الله منطقته القانوني - وكانت حيثيات أحكامه التي يفخر بها تلك التي يكتبها وهو يشرب البراندى - فيترافع ليثبت أن الثورة يا عزيزى كانت خروجاً على القانون ، والذين قاموا بها ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى ، وليس من حق أحد أن يتهم الملك فاروق بالاستغلال أو الاستبداد ، لأنه ملك البلاد كلها وهو صاحبها الشرعى ، والذين اغتصبوا حقه مجموعة من المتمردين المتمردين ♦

أحياناً كانت تواجهه عبد الله الأمير أزمة ، يعرف كيف يتخلص منها بسرعة ، عندما يهبط على مجلسه رجل نكد ، يعارضه بكلام سخييف تافه ، كأن يحدثه عن الاشتراكية أو الشيوعية ، أو نظم الحكم التي « يقرأون عنها يا عزيزى في الكتب » وكلها هجص فى هجص وضحك على الذقون ♦♦ كان اذا تعرض لأزمة من هذا النوع ، لاذ بالصمت ، واستغرق فى شرايه ، وكانت لديه قدرة خارقة ، على أن يغطس داخل نفسه ، فمهما علا الضجيج من حوله ، واشتد الحوار ، لا يبدو عليه أنه يسمع أو يهتم بما حوله ♦ وقد يتسهم بين حين وآخر ابتسامة خفيفة راضية بينه وبين نفسه ، تدل على أنه قد اندمج تماماً فى عالمه الخاص ♦

غير أن أصحاب النكد ، قد تكاثروا فيما يبدو ، وهي نتيجة حتمية ، للطاعون الذي تفشى كالوباء ، ولقد توقع عبد الله الأمير أن يتخلص من هذا النكد خلال اقامته في بلاد عربية أخرى ، ولكن أهل النكد تكاثروا كالذباب : « جميعهم يا عزيزي منافقون وأصحاب مصالح » وحدث أن سأله أحد هؤلاء المنافقين : « ألسنت صاحب مصلحة أنت أيضا يا عبد الله بك ؟ » فلم يكثرث بالإجابة على السؤال ، كان في توهجه واسترخائه يشعر باحتقار شديد نحو صاحب السؤال الوقح الذي يريد أن يتدخل فيما لا يعنيه ، ويطلب منه أن يبوح له بأسراره الخاصة ، وكان في استرخائه غير قادر على أن يغضب أو يشور ، فاكتفى بأن لاذ بالصمت ، وكأن صاحب السؤال غير موجود .

وأدرك عبد الله الأمير أن المتعة الحقيقية ، لم تعد في جلسات الشراب ، ولكنها في الزجاجة والكأس وهو وحده ، ولم تقم أية عقبة في تنفيذ القرار ، بل لعله كان قرارا حكيما ، وله مبرراته القانونية ، لأنه يقضى أغلب أيامه في بلاد تحرم قوانينها الشراب . ومع ذلك كانت هناك عقبات ثانوية ، مثل تلك الثورة التي هاجت بها زوجته ، بعد اكتشافها المجالات الجنسية المصورة التي كان يشتريها ويتفرج عليها وهو يشرب وحده . لقد جنت المرأة اذ تلهبها الغيرة من هذه الصور . كانت تفتش عن المجالات اثناء غيابه في مكتبه لتحرقها أو تخفيها . فكذلك

نوع آخر ، وهم يضاف الى الهموم التي تحاصره في كل مكان . ومع ذلك لا بد أن يقاوم ، فماذا تريد منه هذه المرأة الحقماء . أتريد بيتا ؟ ها هو بيتها في الخليج مزدحم بكل ما يخطر على بال ، وهناك بيتها في القاهرة مليء بالتحف والسجاجيد وأنواع الكريستال ، والملابس والأقمشة التي تعرضها متاجر الخليج والكويت مكدسة في حجرتين من الأرض حتى السقف في بيت مغلق طوال شهور الشتاء . هذا فضلا عن السيارات التي وزعها على الأولاد والبنات ، كلها « ييجو » و « داتسون » من أحدث الموديلات ، واكتفى هو بسيارته المرسيدس « ٣٨٠ » التي مضى على موديلها خمس سنوات ولم يفكر في تغييرها . ما هو المطلوب من رجل مثله أكثر من هذا ؟ مصروف البيت لا يقل عن أربعمئة جنيه شهريا ، ألا يكفيها أنها زوجته الوحيدة ؟ كان والده يجمع أربع زوجات في بيت واحد ، وتزوج في حياته سبع مرات ، وما كانت تستطيع واحدة منهن أن ترفع صروتها بكلمة أمامه ، وكان من حقه أن يفعل ما يشاء وقتما يشاء . كان سيدا مطاعا لا يناقشه أحد ، وكانت معاصر الزيت تجلب له أحيانا آلاف الجنيهات فيروج حاله ، وكان تموين البيت يصل محملا على عربات « كارو » وكانت الأزمات الاقتصادية تعرضه أحيانا للافلاس ، فيفرض على البيت نظاما صارما لا يجزؤ أحد على مخالفته . لقد كانت إحدى زوجاته ، خادمة من خادمات البيت ، تزوجها وأزمة عام ثلاثين في ذروتها ، ولم تقترض

أو تحتج واحدة من نساء البيت • أما هو فقد كان الابن المدلل، ولكن الدلال لم يفسده ، استطاع أن يكمل وحده تعليمه بين عشرة أشقاء ، وأصبح في خلال سنوات تخرجه الأولى من أشهر أقطاب شباب الأحرار الدستوريين ، وذاع صيته كمحام ، ثم عينته وزارة تحالف السعديين والأحرار الدستوريين في القضاء ، ولو كانت الأمور قد سارت كما كان يجب لها أن تسير، لكان وزيرا ثم رئيس وزارة ، يحكم لا من أجل أن يقبض مرتبه آخر الشهر كما يفعل وزراء اليوم ، مرتزقة الحكم ، بل يحكم لأنه ابن عز ، يعرف الأصول والتقاليد ، ويعطى الحكم هيئته ووقاره •

لقد قضى وباء الطاعون على كل هذا ، ولم يبق له إلا نفسه ، ولم تنبثق له إلا مصلحته الخاصة ، ولن يقف أحد في طريق تحقيقها • انه يريد أن يتمتع بأيامه الباقية ، وإذا كان يعمل ويجمع المال ، فلا أقل من أن يتمتع في أيام أجازته • كان يفكر في ألوان المتعة التي يستطيع أن ينعم بها ، وهو يشرب، ويبتسم لنفسه تلك الابتسامة الخفيفة ، ويدرس بعناية فائقة أنواع النساء ، وأشكالهن وأحجامهن • وقد أصبحت المجلات والصور الملونة ، مراجع هامة ، تساعد على القيام بهذه الدراسة • وكان أساتذته الكبار المعتمدون في علم المتعة ، فاروق وحكاياته ، وأغنياء العرب وما يسمعه عن أمجادهم في أوروبا وبيروت •

« ان ممثلات هوليوود يا عزيزى يأتين بإشارة تليفونية في طائرات خاصة •• الشقراء ، وملكة الاغراء ، وصاحبه الصدر الأعظم •• أى واحدة تعجبك على الشاشة •• تأتى بلحمها وشحمها لتلتهمها بلحمها وعظامها • كما تلتهم حمامة مخشوة بالفريك » •

وكان من أروع ما سمعه ، وتأثر به في مجلس ضم أحد أولئك الأغنياء • حديثه عن ملكة جمال في بيروت ، أعجب بها ، فقتضم بأسنانه قطعة من صدرها ، وترك عليها علامة تاريخية مميزة • كان ينظر الى المتحدث العظيم ، في توقيير والبهار • هذه هى قمة المجد الذى يستحقه العظماء • لماذا لا تكون له هو أيضا ، وفي أيامة الأخيرة متعته الخاصة ؟ ماذا يحول بينه وبين تحقيق ما يريد ؟

وهكذا قرر عبد الله الأمير أن يقضى أسبوعا من اجازته في بيروت ، وكان - شأن أى عالم متخصص في علمه - يضيق بأى موضوع خارج عن نطاق دراسته وأبحاثه • فمثلا تلك الأخبار التى تنشرها الصحف عن حوادث في بيروت ، كانت لا تعنيه • « بيروت يا عزيزى هى بيروت » • واذا صادف أن سمع أحدا يتحدث عن مذابح أو حرائق أو عمليات اختطاف في حروب طائفية أو عقائدية •• الى آخر هذا الهجص الذى

يتحدث به المنافقون من أهل النكد ، فهو قادر على تجاهله ،
وتطهير نفسه من أدراكه • ما له هو وذلك الذي يحدث بين أهل
النكد ؟ فليذبحوا بعضهم بعضا ، هذا شأنهم ، وهذا ما جلبه
عليهم الطاعون الذي تفشى بينهم ورضوا به وهللوا له • لعلها
فرصة أن يحترقوا جميعا وينزاح الكابوس ، أما الجيلات
فباقيات وهو يعرف أنهن هنالك في بيروت وسوف يذهب
اليهن ، ويحقق بين أحضانهن أهداف رسالته •

عندما عرفت زوجته أنه يريد أن يقضى اجازته في بيروت
وحده ، تشاجرت معه ، واتهمته بأنه فاسق داعر ، واتتهزت
الفرصة وأخفت جواز سفره لتمنعه من السفر ، وهددها بالطلاق •
ولم يتخذ الموقف ، الا ابتته الكبرى التي عثرت على جواز
السفر في المكان الذي خبأته فيه أمها ، وأعطته له ، وطلبت منه
أن يأتي لها من بيروت بقائمة طويلة من زجاجات البرفان ،
 وأنواع كريم البشرة • وسوتيانات وملابس داخلية • وفعل نفس
الشيء أولاده جميعا ، كلهم قدموا له قوائم بطلباتهم التي
لا تنتهي ، ما عدا أصغرهم وكان طالبا بكلية الهندسة • الذي
قال له :

ـ يا أبى ان بيروت خطر •

فشخط فيه :

— هل أمك هي التي لفتتك هذا الكلام •

وسكت الولد ، حتى لا يقع الطلاق •

وانهالت النصائح على عبد الله الأمير ، وهو يرتب اجراءات السفر في مكتب الجوازات ، وفي مكتب شركة الطيران وعند « التريزي » وقال له أحد أصدقائه القدامى :

— بيروت يا عبد الله بك سيدمرها المترفون ، لأن الله اذا أراد أن يدمر قرية أمر مترفيها ففستقوا فيها •

ولكن عبد الله كان يردد دائما :

— أنا مسافر في عمل وملح يا عزيزي •

وكان يتسمم ابتسامته الخفيفة ساخرا من هذا الهوس الذي ينطلق من حوله في صورة نصائح •

منذ اللحظة الأولى التي هبط فيها عبد الله الأمير مطار بيروت ، وهو يسمع عن الخطر ، ولكنه في الحقيقة لا يسمع • الطريق غير سالكة الى بيروت ، التاكسيات لا تريد أن تتحرك ، ولكنه يثابر ويعبر في جلد وداب واصرار ، حتى يركب التاكسي الذي قذف به عند مفرق أحد الطرق ، وأشار اليه السائق أن يواصل وحده الطريق مشيا على الاقدام ، حاملا حقيبتيه في يده • فلا يتردد أن يفعل بنشاط شاب في العشرين ، وسار في

الشارع الخالى من المارة ، وعيناه تريان جميلات فاتتات
مختفيات وراء الأبواب والنوافذ ، حتى اعترضه حاجز يقف
عنده شباب مسلح سألوه عن هويته وفتشوه ، وأخذوا منه
ما معه من دولارات وجنيحات استرلينية ، ولم ينقذه الا أنهم
تركوا له بين أوراقه دفتر الشيكات • وواصل طريقه وكأن
شيئا لم يحدث ، ودخل الفندق ، واختار جناحا فاخرا ، وكان
يسجل اسمه ، وعيناه تدوران في البهو بحثا عن مواقع النادات
الجميلات ، كان يشم رائحة عطر هن ، ويسمع موسيقى أصواتين
الناعمة الالهية ، يكاد من فرط ليلته يؤجل الصعود الى جناحه •
لولا نظرات الموظف الذى تقدمه يحمل المفاتيح نحو المصعد •
ودخل جناحه ، ورأى الصالون الذى سيشهد سهراته ، وأطمأن
الى السرير ، مسرح عملياته ، والحمام ذى الرخام الأسود
الذى تغسل مياحه كل ذنوب الدنيا ، وهاجت أشواقه ، فدفع
البقيش للموظف وللرجل الذى حمل حقيبته ، ثم سبقهم الى
الخارج متجها الى المصعد ، وهو يسألهم :

— أين البار ؟

ولم يفهم كلام الموظف ، وهو يشرح له ، أن هبوطه السريع
هو عين العقل خشية حدوث انفجارات •

ولقد بدأت الانفجارات فعلا ، وهو يتجه الى البار ، وكان

في هو الفندق هرج وتجمع من بعض النزلاء والموظفين ، لم
يتبه اليهم ، كان مقبلا على فتاتين في البار يتسعم لهما • ولم
يمض وقت طويل ، حتى كانت كل فتاة تدخل البار ، يائسة من
وجود زبون في هذا الوقت العصيب ، أو هاربة من الهول الذي
يجتاح شوارع المدينة • الا وأصبحت عسرا في جلسته يقدم
إلى الشراب ، وقد تجمع بين الفتيات تناهم مشترك • ان الظروف
تدفعهم إلى التناقص على هذا الزبون الذي جلس
بهذه الحالة يتسعم لنفسه أنه يارون الرشيد ،

كأنت ، مشكلة عويصة تلك التي واجهته عندما سكنت
الشراب والتجارات • إذ كان عليه أن يختار المحظيات اللاتي
يتابعن معه الليلة إلى جناحه الخاص ، ولقد تناشروا عليه ، وكان
يحب أن يذهب إلى الفتيات لشرح بالرجل الذي يفهمها • كان
يحب المشكلة هو ذلك التناقض العماد بين شوق المحلات
والشعور التي تعمق في دراستها وذوقه الخاص ، فالثقافة تدعوه
إلى اختيار شقراء نحيفة ، أو زنجية شعرها كائش ، وذوقه
الخاص يدعوه إلى اختيار سمرات بدنيات ، وحسبما للتردد ،
وجه دعوته إلى الفتيات جميعهن ، وأعلن أنه سيقدم لهن حفلا
لم يشهدن مثله • وكان يشعر أنه يتقدم إلى مصاف الملك فاروق،
وأغنياء العرب ، وبأنه يقترب من عتباتهم ، ويرتفع إلى مستوى
قداسهم •

عندما أفاق ظهر اليوم التالى من نومه أو غيبوبته ، كانت الى جواره تلك السمراء الممتلئة المحببة الى قلبه ، وكانت تبكى وتلطم خديها • وواجه الموقف بشجاعة رجل كان يؤهل نفسه للتصدي لمسئولية السلطة ، وارتفع فى ليلته الماضية الى عتبات السمو والجلالة فهو قادر على أن يحل مشاكلها ويمسح دموعها ويخرجها من مأزقها •

قالت له : انها تريد العودة الى مصر ، وروت له أنها كانت تعمل خادمة فى البيوت ، وتذكر أباه وتلك الخادمة التى تزوجها فى أزمة الثلاثين • وكان ينظر الى الدموع المنهمرة فى عيني السمراء فتختلط ذكريات أبيه ، بحنين دافئ متدفق نحو السمراء •

كان مسترخيا على السرير ، عندما هجمت على يديه ثم قدميه تقبلهما صارخة ان يساعدها ، قال لها فى غير فهم :

— هنا أحسن •• مصر انتهت •

صرخت :

— أريد أن أسافر قبل أن أموت •

هز كتفيه وقال مستسلما :

— من أجلك •• سأساعدك على السفر •

كان يراها مقبلة في الطريق ، وهو جالس في انتظارها في
السيارة التي ستقلهما الى المطار ، كانت تسرع الخطى ، وجسمها
الممتلىء يهتز ويثير نشوته ، ودوى صوت ، وسقطت فجأة .

وقبل أن يفهم ما الذي حدث كانت السيارة تنطلق به الى
المطار .

لعل السائق قال له انه اصببت ، أو قتلت ، ولكنه لم يفهم .
تماما ما حدث .

عندما وصل القاهرة ، كان همه الأكبر ، أن يشتري قدر
ما يستطيع من طلبات الأولاد ، من المطار . واهتم بقائمة البنت
الكبرى بالذات ، لأنها هي التي منحتة فرصة العمر بحصولها
على جواز سفره من أمها . ومع ذلك لم يستطع تحقيق الا جزء
تافه من المشتريات المطلوبة ، وهكذا استقبلوه بفتور غاضبين ،
لأنه لم يحضر لهم طلباتهم التي لا غنى عنها .

وصرخ فيهم غاضبا ، وقد أمتلأ بثقة جديدة بعد رحلته
الكبرى . قال لهم انه لم يسافر من أجلهم ، بل سافر من أجل
نفسه ، ويكفيهم ما أخذوه منه ، وما زالوا يأخذونه منه . ودفعته
قضة الكبرى الى أن يصارحهم بأن من حقه أن يتمتع بالحياة
كما يتمتعون بها ، والذي لا يجبه هذا الكلام فليشرب من
البحر .

وأغلق على نفسه باب حجرتة ، وأحضر زجاجة البراندى
 وأخرج بعض المجلات من مخبأ لم تكتشفه زوجته أثناء غيابه ،
 واحتسى ببطء وتمهل رشفة بعد رشفة ، حتى شعر بتوهج
 واسترخاء أضاف اليهما ثقة أكبر بالنفس ، واطمئنانا أعمق
 بالمستقبل ، وقلب صفحات المجلات ، ولكن عينيه تاهتا في
 ذكريات جميلات بيروت ، وابتسم ابتسامة خفيفة ، وقال لنفسه
 بصوت مسموع هامس ♦

« بيروت يا عزيزى ♦♦ هي بيروت » ♦

تأملات كاتب مشهور في آخر أيامه

عطلنى اجتماع الصباح عن كتابة مقالى ، ما الجديد فى أن نجتمع لنسمع من وزير أن الأوضاع السياسية والاقتصادية تحتاج الى مزيد من الانتباه والحذر ، وأنا نخوض معركة ضارية فى مواجهة أعداء شرسين • أنا شخصيا أعرف فى هذه المسائل أكثر مما يعرف الوزير نفسه ، ولقد فكرت فى الاعتذار عن حضور الاجتماع لولا أننى أشفقت عليه فى اللحظة الأخيرة • وقلت لنفسى : عليك أن تتواضع ، وأن ترضى غرور الوزير ، الذى يريد أن يفرح بوجود كاتب مشهور مثلك فى اجتماع يدعو اليه •

طبعاً الأوضاع خطيرة ، وعلينا أن تتماسك الى أن يتم اختراع نوع من المبيد مثل مبيد الحشرات ودود القطن ليقضى

على أفكار ومناورات الميكروبات الثقافية الفتاكة ، وعلى رأسها الشيوعية ، والماركسية ، والالحاد والفوضوية ، والاشتراكية ، والارهاب ، لقد عجزت قنابل «شرايك» الأمريكية •• والقاتوم عن القضاء على هذه الأوبئة ، ولكن الطاقة الأمريكية والجبروت الأمريكي والعلم الأمريكي ، كل هذا كفى بأن يصل في يوم قريب الى الاختراع المطلوب • ان هذه الشرور • هي « يأجوج ومأجوج » اللذان يقف بينهما وبيننا سد صخرى منيع ، يلعقونه بالسنتهم أو بكلماتهم وشعاراتهم ، حتى يتحول السد الصخري الى غلالة هشة رقيقة توشك أن تتحطم ليجتاح « يأجوج ومأجوج » هذه الدنيا ويقضوا على كل من فيها • والأمل في معجزة من الله سبحانه وتعالى تنقذنا من هذا التهديد المدمر ، وبعد الله ، يأتي الدور الأمريكي الذي أصبحت له أهميته بعد فشل الدور الروسي •

أنا شخصيا عدو اليأس ، وهذا هو سر نجاحي ككاتب ، القراء يتفاءلون وهم يتابعون مقالاتي • أنا لم أفقد أبدا نعمة التفاؤل حتى وأنا أعاني من آلام الذبحة الصدرية • حاولت ان أخفي نبأ مرضي حتى لا يشمت في الكلاب الأعداء • وحتى لا أغم القارئ بأخبار سيئة • لا بد أن يشعر قارئى أنى قوى في كل وقت ، وأنى صامد للأحداث وللخصوم وأنى فارس المعركة • حجبت أخبارى المزعجة ، لأن مهمتى المقدسة ، هي

نشر الفرح والبشر بين الناس • الذين يشكون من وطأة الغلاء •
أقول لهم : سوف يعم الرخاء • الجوعى سوف يجدون الطعام •
الذين بلا مأوى سوف يجدون أفخم الفنادق وأفخر القصور ،
الذين يعانون من أزمة المواصلات ، سوف يأتى يوم يركب فيه
كل واحد سيارته الخاصة ، أو يكون له هيلوكوبتر خاصة ،
لقد كنت ناجحاً دائماً عندما أروى قصة الفقير الذى ابتسمت
له الدنيا ، فأكل الديوك الرومي وهو الذى كان يسيل لعابه
عندما يشم رائحة الطعمية ، وأكل الكافيار وهو الذى كان
لا يجد لقمة يغمسها فى المش أو ماء الملوحة •

القراء يحبون شراء الكلام المريح المفرح ، الذى ينقلهم
الى عوالم بهيجة ممتعة ، انهم يهربون من الكلام المعقد السمج ،
وهم على حق ، فلا بد أن يكون القارىء مجنوناً أو شاذاً حتى
يرضى بوجع الدماغ ، ويتحمل الصداغ الذى يحاصره ، وهو
يقراً تحليلات ونظريات وفلسفات ثم يخرج من قراءاته وصداغاً
بأن عليه أن يربط الحزام على بطنه ، وان يتحمل الجوع ،
أو يتنازل عن متع الحياة فلا يشتري السلع والبضائع
المستوردة • لقد انهار كتاب كثيرون وسقطوا فى أعين القراء ،
ولم يصلوا أبدا الى عتبة الشهرة ، لأنهم كانوا نذير شؤم ،
ينعقون كالبلوم ، حتى ضج الناس من نعتهم •

بالأمس قلت هذا الكلام لوزير الاعلام • قلت له : ان

الحل الوحيد في مثل هذه الظروف التي يجازها بلدنا ، هو أن نلج في تصوير الحياة المرحية الوردية التي سوف يتمتع بها الناس . ثم قلت له ضاحكا : اننى أعنى الحياة الوردية ، لا الحياة الحمراء ، حياة حمامات الدم . فضحك الوزير وقال : ان اللون الأحمر ليس قاصرا على الشيوعية ، فهو أيضا لون فائلة النادى الاهلى . قلت له : انى جاد فيما أقول ، وان الذى دفعنى الى مخاطبته ونصحه هو حرصى على بلدى ومستقبلها فضلا عن حرصى عليه هو شخصا ، وضربت له مثلا بما حدث لى عندما أصبت بالذبحه . كانت أهم نصيحة قالها لى كبار الاطباء في أمريكا وانجلترا ، هو أن أواجه هذه الأزمة بالراحة النفسية والمرح والابتسام ، والابتعاد عن كل ما يثير أعصابى ويقتلنى . ان الشعب مثله مثل جسم الانسان ، والأزمة التي تواجه المجتمع ، لن تكون أخطر وأقدح من أزمة كالذبحه تهدد من تصيبه بالموت . فاذا كان أكبر أطباء العالم يقولون ويؤكدون ان الجسد يستطيع مقاومة الأزمات الصحية بإبتسامة مرحة ، فكذلك تستطيع الشعوب والأمم أن تواجه الأزمات بالضحك والمرح . وقلت للوزير : انه لا بد أن يأمر بمضاعفة ساعات ارسال البرامج الفكاهية ، ولا بد أن يشجع مسارح الفكاهة ، ويشجع الشبان الذين يكونون فرقا فكاهية مثل فرقة ساعة لقلبك . لقد اختفت هذه الفرقة ، بينما كان المفروض أن تكون لدينا عشرات من الفرق مثلها .

لا أستطيع أن أجزم بأن الوزير سوف ينفذ نصيحتي ،
ولكنه كان على أي حال مجاملا لبقا ، ولقد أوضحت ضميري
لنحون ، فإذا لم يأخذ نصيحتي ، فلا يلوم من إلا نفسه إذا لم يجد
نفسه غدا يجلس في كرسى الوزارة ، أن الأحداث تفرض
نفسها ، وما قلت للوزير هو الرأي الوحيد الذي نستطيع أن
نؤيده به الحكومة .

لقد عرفت كيف أتخلص من مشاكل هذه الشغالي من الذبحة ،
وإذا لم أكن في التحول الكبير فهو تلك الصحيفة الكتكوتة
سلوى ، التي جاءت في في لتعطيني مني على حديث صحفي ،
جاءت في تلك الصحيفة التي هي الحياة في حياة السقايين ، فكتبت لها
البرقيات ، وكتبت لها أني أحبهم من جهة مع مراحل حياتها
التي هي في القوم تتصل بنضارتها وشبابها كل همومي ، أ
سأولها وأطرح في الله في السماء ، وأنا في الأرض ، تعبدني ، أ
أنا أحب الشبان الذين هم في مثل سننا ، ألما تعرفهم وتفهمهم
ولرى أنهم أولاد حقيقي . فهربت من عالمهم ، ودخلت عالمي
أنا الرجل الماقل المتزن الحكيم الوقور ذو النفوذ . . انه
لا تعرف طبعاً أن حماقة الكحول أعرق وأبشع من حماقة الشباب
ان زوجتي التي جاوزت الخمسين امرأة شطاء لا تطاق
حماقتها ارتفعت الى مرتبة الجنون . ولو استسلمت لها سوف
تنتهي حياتي في لحظات . سلوى أصغر من ابنتي سعاد ومنى ،

وأعاملها كما لو كانت ابنتى الثالثة • ابنتى الصغرى • والفارق الوحيد بينها وبين بناتى ، هو الحب الذى بيننا ، حب كامل يشمل الروح والجسد معا • علاقتنا وثيقة ، هى فى حاجة الى ، فى حاجة الى حمايتى وتقودى ، فى حاجة الى تقودى وهداياى ، فى حاجة الى قلمى الذى يكتب لها الريبورتاجات الصحفية التى تقفز بها سلالم المجد الصحفى • وأنا فى حاجة الى نصارتها وصباها ومرحها وخفتها وطيشها ونزقها • أنا فى حاجة الى ساعات أنسى فيها مخاطر الذبحة وضغط الدم ، فى حاجة الى لحظات أنسى فيها ضراوة المعركة التى أخوضها ضد الخصوم والأعداء • بغير هذه اللحظات لا أستطيع مواصلة الحرب ، لن أسمح لهم بالانتصار على ، سأبذل أقصى ما أستطيع لأقضى عليهم واحدا واحدا ، انتظر اليوم الذى أمشى فيه وراء نعوشهم ، ومن حسن الحظ أن امراضا أخطر وافتك بدأت تصيبهم ، اللهم لا شماتة • ولكن الدنيا بغيرهم سوف تكون أحسن • انهم أفاع ينتظرون الفرصة للوثب واللدغ القاتل • أنا أعرف فضائحهم واحدا واحدا • لقد غرقوا فى ملذاتهم وخدعوا هذا الشعب المسكين فتظاهروا بأنهم جهابذة وهم أجهل من دابة • ان الواحد منهم على استعداد لأن يبيع أمه مقابل سيارة هدية ، أو ريكوردر كاسيت من مليونير من مليونيرات البترول • الخطر الأول على البلد هو الحمر ، والخطر الثانى هو هؤلاء المرتزقة الاتهازيون ، والذين يدسون لى ويريدون القضاء على شهرتى

ومجدي ونفوذى بأى ثمن • اننى أعجز تماما عن الوصول الى معنى مفيد أو جملة لها قيمتها الفكرية أو الأدبية فى كل ما يكتبون • انهم يحاولون تقليد أسلوبى فاذا بهم يسقطون فى هوة التهريج والاسفاف • التأييد الذى أساند به السلطة ، يقلدونه فيتحول الى نفاق • النصائح التى أهدمت بها فى آذان المسؤولين يمسخونها فتتحول الى تخريف وشطحات • انهم لا يقنعون أحدا • الجميع يسخرون منهم • الجميع يحقدونهم ولا يثقون فى كلمة واحدة مما يكتبون • وهنا مكنم الخطورة • فاذا فقد القراء الثقة بالكتاب ، فسينجم عن ذلك فراغ هائل فى عقول الناس يملؤه الحمر والفوضويون والنفاريت الزرق بأفكارهم الفوضوية الملحدة ، ويكون الخراب ، وتكون الطامة الكبرى • انا فى حاجة الى تطهير جونا الثقافى من هذه الأوبئة الأدبية والصحفية ، تتخلص من كل تلك الاتجاهات اليسارية التى تخفى وراءها عمالة سافرة أو مقنعة للشيوعية والأممية الدولية ، تتخلص من كل الكتاب الاتهازيين المنافقين الذين يبيعون أعلامهم لدولارات البترول وغير البترول ، تتخلص من الكتاب الذين عاشوا على الحقد والارهاب خلال السنوات التى مضت وعانى فيها الشعب من أفظع ألوان البطش والطغيان • تتخلص من الكتاب المرضى الذين سقطوا فى برائن المرض وعجزوا عن التصدى له ، فانعكس اليأس فى كتاباتهم وتسربت المرارة الى

أقلامهم ، ولم يفلحوا في تقليد ما فعلته أنا اذ قاومت المرض
وواصلت نشر التفاؤل والحب بين القراء •

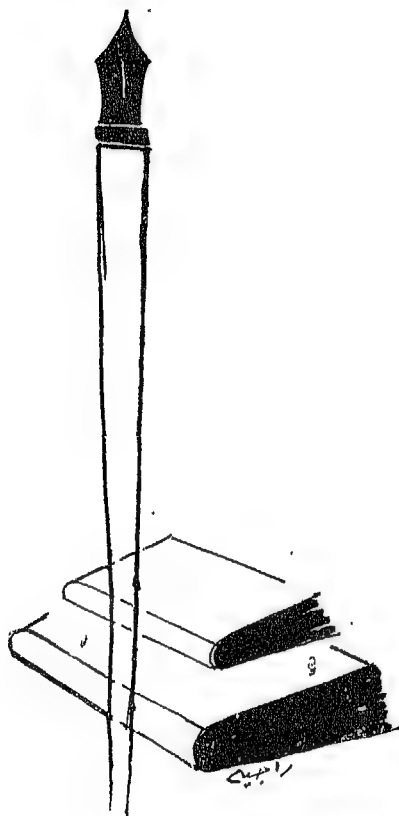
لاشك أنه من سوء حظ هذه الأمة أن تكون عقيمة في
الكتاب الكبار والمفكرين الاحرار ، قليلون جدا ، بل هم أندر
من النادر • بل لعله لا يوجد كاتب واحد مشهور له قيمته وتأثيره
غيري أنا •

انه من سوء حظي أنا أيضا ، فالمهمة أصبحت ثقيلة مضنية،
والمشاكل ملحة ، والأزمات متلاحقة ، ولا بد أن أواصل كفاحي
ونضالي حتى أسقط شهيد القضية التي أدافع عنها •

لابد أن أشرع فوراً في كتابة مقال ، بعد ذلك الاجتماع
المضحك الذي عقدناه • كان الوزير يتكلم بأسلوب ركيك ،
سوف يتعلم من مقالى درسا في صياغة الجمل ، وترتيب الأفكار
وتنسيقها ، سأكتب عن الصلة بين أزمة الشرق الأوسط وسياسة
الوفاق • سوف أتعرض لأخطر مشكلة • وهى الاقتصاد •

آه • • لقد نسيت • • ويجب أن أكتب أولاً ريبورتاج
سلوى • حبيبتى سلوى • قالت لى ليلة أمس : هل أنت دائما
وقور ؟ قلت لها : هل مللت الوقار ؟ قالت : أحيانا • قلت :
ماذا تعنين ؟ • قالت : أحيانا أفتقد حماقة الشباب وتهوره

واندفاعه ، قلت لها : ولكن هذا في امكاني يا حبيبتى .. كانت
ليلة غريبة * ركعت فيها على ركبتى كأنى روميو ثم قبلت
بمنتهى التهور والطيش أصابع قدميها * لابد أن أكتب
الريبورتاج الذى وعدتها به عن الاجهاض بين المؤيدين
والمعارضين *



الموت على طريقة فلفل

فلفل سايس جاراج باحدى عمارات شارع من أهم شوارع الاسكندرية * طريق أبو قير ، أو طريق الحرية ، أو طريق جمال عبد الناصر * ولكل واحد أن يختار الاسم المناسب ، حسب مزاجه ، أو حسب رأيه السياسى * ولكن فلفل لا يهتم بالاسماء ، فهو صاحب مزاج خاص يجعله يختفى أحيانا من الجاراج ، ليهبط أصحاب المرسيدس والبويك والفولكس ونصر ٢٨ من مساكنهم ، فينادون عليه : يا فلفل يا فلفل .. ثم يضطرون الى دفع السيارات وزحزحتها بأيديهم ، ليخرجوا بمرباتهم الى الطريق ، وهم يلعنون فلفل وأيامه ، حتى اذا صادف أن قابلوه تلبستهم حالة من السماحة ، ونسوا غضبهم ، لأن

الرجل قادر دائما على أن يقدم أعذاره الغريبة الساحرة • انه يعتذر بجسمه القصير ، النحيف ، الذي يتحرك كلاعب اكروبات بين السيارات ، وأعمدة الجاراج ، ليخرجها بسهولة وسرعة • وفي نفس الوقت يدغدغ أذنى صاحب السيارة بحكاية •

صوت وردة ينطلق من أكثر من نافذة ، يمد فلفل ذراعيه في حركة راقصة الى السيارة المرسيدس ، وينحنى ليجذبها بطريقته الخاصة من عجلتها الأمامية ، قائلا وكأنه يحدث نفسه :

« وهل بعد (الست) غناء •• الله يرحمك يا ست » •

و بينما تنزلق العربة في خفة ، وصاحبها يرقب في حذر خشية أن يصطدم بسيارة مجاورة ، يرفع فلفل صوته مع اندفاع السيارة الى الخارج :

« الله يرحمها ، كانت تحبنى ، كانت تأتى الى الاسكندرية ، فترسل الى لازورها في بيتها وتسالنى : هل أنت مبسوط يا فلفل • أقول لها : مبسوط بوجودك يا ست ، فتضحك ، كانت ابتسامتها حلوة ، مثل صوتها الحلو ، وتقول لى : أنا أيضا مبسوبة يا فلفل ، طالما أنت مبسوط » •

ويقفز فلفل الى باب السيارة يفتحه ليركب صاحبها ، الذى

أصبح كالمنوم وقد سيطرت عليه ، دون أن يدري ، حركات
فلفل وحكايته عن « الست » ♦

ويمسك فلفل بالفوطـة الصفراء ، لينظف الزجاج
الأمامي ، وفي هذه المرحلة ، ينظر الى الراكب عبر الزجاج ،
ويوجه اليه الحديث مباشرة :

« ذات مرة طلبتني في منتصف الليل ، وقالت لي : انا
محتاجة لك يا فلفل ♦ قلت لها : رقبتي يا ست ♦ قالت : أريد
السفر الى القاهرة الآن والسواق مريض ♦♦ قلت لها : سوف
نكون في القاهرة باذن الله ♦ قالت : أنا أعرف شطارتك في
السواقه ♦ قلت لها : أنا تربية مستر « شنكر » الذي كان
صاحب أكبر جارج في محطة الرمل ♦ كانت عنده سيارات
سباق ، لا يسمح لأحد في الدنيا أن يمسهـا سوى ♦ كنت أخرج
بها من الجارج بسرعة مائة كيلو ، ولا يهتز له رمش ♦ تعرف
سعادتك ، أنا سافرت معها في الطريق الصحراوي وحدنا
ووصلنا بيتها في الزمالك في ساعتين ، وهي مطمئنة تماما ♦ ليلته
سمعتني أغاني ، لم يسمعها أحد ، ولن يسمعها أحد ♦

وهنا يضحك صاحب المرسيدس ويقول ساخرا :

— متى تبطل تعاطي البسطل يا فلفل ♦♦

ينظر اليه فلفل في وجوم ويقول خزيننا :

— لا أعرفه يا سعادة البك ♦

يقول الرجل هازئاً :

— وهل عرفت حقاً أم كلثوم ؟

فيجيب فلفل في عتاب وحسرة :

— ست الكل ♦♦ كانت لا تحب أحداً في الدنيا مثل

حبها لى ♦

وتنطلق المرسيدس ، يشيعها فلفل بنظرات شاردة ، وتقبض يده على الفوملة الصفراء ، ويمشى محني الظهر ، وكأنه فقد كل نشاطه ليجلس في ركن معتم في الجراج ، به علب صفيح قدرة ، بعضها فيه بقايا طعام ، أو بقايا شاي ، أو ماء للسيارات أو الشرب ♦ وكومة من الخرق ، يرقد عليها إذا أراد النوم ♦ وغالباً ما تأتي قطعة سوداء لترقد بجواره ♦ يتبادل معها نظرات صامتة ، ويرقبها في استسلام ، وهي تقلب علب الصفيح لتلتحقها وتنظفها ♦

لا أحد يعرف ، ولا فلفل نفسه : هل هو عجوز أم شاب ؟

وجهه أسمر ملئ بالتجاعيد وعيناه ضيقتان لونهما بني داكن ، تومضان أحياناً بيريق نأفد فيه جسارة ولا يخلو من قحة ♦ ويحدث هذا ، غالباً ، عندما يتحدث فلفل عن براعته في قيادة

السيارات ، فهو عندئذ يميل الى كفة الشباب ، لولا شعرد الأكرت الأشيب الذى يلفت النظر أكثر من غيره ، عندما يتكوم ذاهلا فى ركنه المعتم • فاذا ما فاجأه صاحب سيارة كان ينادى عليه ، وهو فى هذه الحال تراجع فى صراخه ، أمام شبيه الوقور ، وهيمته التى تحولته الى كائن ضعيف ، وكهل لا حول له ولا قوة •

ذات مرة ، كاد صاحب « البويك » الرجل الغنى الذى يسكن فى الطابق التاسع ، أن يتسبب فى طرد فلفل من الجاراج ، فهو يصر على أن تقبع عربته فى مكان خاص من الجاراج يسمح لها بالخروج فى أية لحظة • وكان فلفل حريصا على تنفيذ هذه التعليمات بدقة فاذا احتل صاحب سيارة أخرى هذا الموقع ، توصل اليه فلفل أن يبعد بسيارته عن المكان • حتى لا يتعرض للأذى • وينجح فلفل دائما فى توسلاته ، رغم أن بعض أصحاب السيارات الأخرى كان يركبهم العناد ، فصاحب « البويك » لا امتياز له على صاحب سيارة نصر ٢٨ أو سيارة فولكس •

يقول فلفل متوسلا شارحا موقفه الدقيق :

— الرجل شرير •• لا يتردد فى اىذاءى •• وهذا لا يرضيك يا سعادة البك •

وقال له أحد الذين ركبهم العناد ذات يوم ، وهو مهندس شاب صاحب سيارة فولكس عشيقه :

— هذا أمر لا يخصك • قل له أنى صممت على وضع
عربتي فى هذا المكان • واذا أراد شيئا •• فليحدثنى أنا •

وقبل « فلفل » هذا المنطق ، ووقعت الواقعة ، فقد أفاق
من رقذته على ركلات صاحب البويك متوعدا اياه بالطرد •
وقفز فلفل فى الهواء ، وأسرع يخرج العربى فى غمضة عين •
ويومها أنقذته حكاية « البويك » التى كان يملكها مستر شنكر :

« كانت الوحيدة من نوعها فى مصر ، ثمانية سلندوات ،
ولا يعرف أحد أسرارها سوى • أكبر ميكانيكية « طليان
وجريك » فى البلد ، وقفوا أمامها حيارى ، تعرف سعادتك أن
فى عربتك البويك هذه أسرار لا يعرفها أحد ، تستطيع أن تقودها
بغير استخدام قدميك • الكاربيراتير يوزع البنزين بالكهرباء •
البويك أعظم سيارة فى الدنيا • فى يوم دخل مستر شنكر
الجراج وقال لى : يا فلفل •• لا تحزن لما سأقوله لك • قلت
له : خير ، قال : الملكة نازلى رأت البويك وأعجبتها ، وفهمت •
قال : خذها واذهب بها اليها ، فهى تنتظرها فى رأس التين ، كانت
واقفة عند الباب ، وأبواب السراى مفتوحة ، والحرس واقف
على الجانبين ، ودخلت على سرعة مائة وأربعين • ووقفت أمامها
تماما • وتهلل وجهها قلت لها : يا مولاتى هذه السيارة تساوى
ثقلها ذهابا •• قالت : أركب معك وأنت تسوقها ، وأخذنا لفة

في حديقة السراي • قالت : أنت وحدك الذي يسوقها لي •
 قلت : الخواجة يفرط في السيارة ، ولا يفرط في • قالت : وأنت
 ماذا تريد • قلت لها : الخواجة غلبان ، لو تركته يتعب •
 فضحكت • وقالت : أنت مخلص يا فلعل • أطلب ما تشاء أعطيك ،
 قلت لها : الحمد لله • أنا عندي ما أريد •

وهنا خطر لصاحب البويك ، خاطر ، ففسى غضبه ، ولكن
 هذا الخاطر ، كان فيه نهاية فلعل •

كانت الحكاية التي تخلص بها فلعل من عناد المهندس
 صاحب العربية الفولكس العتيقة ، عن هارون الرشيد ، ورواها
 فلعل باللغة العربية الفصحى • ويبدو أنه جفها بعد أن سمعها
 كثيرا في مكان ما • الفرزة التي يتردد عليها ، أو مجلس البواين
 في ليالى الصيف أمام العمارة :

« خرج أمير المؤمنين هارون الرشيد هو ووزيره جعفر
 ليتفقد أحوال الرعية ، فمشى في الأسواق متنكرا ، وتردد على
 ندوات السمار ، فسمع ما لا يرضيه ، عن سوء الأحوال ، فأنفلا
 يشتد ، والطعام يشح ، ونظر هارون الرشيد الى وزيره جـ
 غاضبا ، فاصفر وجهه وخاف • وأراد أن يدافع عن نفسه ، ففـ
 فمه ليتكلم ، فقال له هارون الرشيد : أسكت ولا تتكلم ، فـ
 أسمع منك رأيا بعد اليوم ، ولسوف يكون صاحب المشور

هو أول من ألقاه في طريقنا من رعاياي • وكان أول من رآه
هارون الرشيد ، امرأة تبكى وتلطم خدها فسألها هارون
الرشيد : ما الذى يبكيك يا امرأة قلت : لا أجد طعاما لأولادى
الجياع ، فأعطاها ما معه من دنائير ، وقال لها : خذى كلى أنت
وعيالك • قالت المرأة : والله أنت خير من هارون الرشيد • قال
لها : هارون الرشيد ما ذنبه يا امرأة ؟ قالت : لو كنت مكانه
لسجنت كل وزرائه ، وعلى رأسهم جعفر ، وقتلتهم ، فينصلح
الحال • قال هارون الرشيد : هذه هى مشورتك وهى خير
مشورة • وذبح هارون الرشيد جعفر البرمكى • وكل
البرامكة » •

ضحك المهندس متعجبا وسأله :

— اين تعلمت هذا الكلام يا فلفل ؟

قال فلفل •

— وهل تظن أنى لم أتعلم •

قال المهندس :

— وباللغة العربية الفصحى !

قال فلفل :

— نعم •• لغة القرآن الكريم •

واستولت الدهشة على المهندس ، ونسى عناده ، وانتهت
أزمة فلفل •

تقول خادمة تعمل في مسكنى بالطابق الرابع من العمارة ،
انها شاهدت فريد الاطرش يقف بعربته أمام مدخل الجاراج ،
ويتبادل الحديث مع فلفل ، في نفس تلك الليلة ، التي أقام فيها
فريد الاطرش حفلا ساهرا في ستاد الاسكندرية ، ولم يصدقها
أحد ، ولكن سيدة البيت ، وبناتها استربن في الأمر • وسألت
صغرى البنات فلفل عن حقيقة الأمر ، فقال لها :

— نعم •• فهو صديقى •



صباح يوم ، جاء رجل يبحث عن فلفل • وأخذه واختفيا •
ولما عاد فلفل بعد ذلك اللقاء • كان صامتا يقابل أصحاب
السيارات في خمول ، لا يحكى ، ولا يرقص بجسده ، وظنوا
أنه مريض • ولكن فلفل كان مشغولا بفرصة العمر التي هبطت
من السماء • أن يقبض مائتى جنيه ، مقابل أن يستغل مهارته في
قيادة السيارات ، ليقود لورى محملا بالبضائع من الميناء الى
خارج المنطقة الجمركية •

سأل فلفل الرجل الذى جاء يعرض عليه المائتى جنيه :

— كيف عرفتنى ؟

قال له الرجل في ثقة :

ـ رجلنا الكبير يعرفك جيدا • ويعرف أنك تستطيع أن
تقود أى سيارة بجرأة • وعلى سرعة مائة وأربعين وأكثر •

سأل فلنل :

ـ من هو ؟

قال الرجل :

ـ هذا ليس شأنك • لك أن تقبض النقود • ولو قبلت •
أعطيك عشرة جنيهات • وقبل دخول الميناء أعطيك بقية المائة ،
وبعد خروجك من الميناء تأخذ المائة الثانية •

قال فلنل على الفور :

ـ قبلت •

ولكنه سأل بعد قليل :

ـ هل هناك خطر ؟

قال الرجل :

ـ نحن على اتفاق مع البوليس •

سأل فلنل :

ـ أكيد ؟

قال الرجل :

— يوسف ابراهيم الضابط الكبير • اتفق وقبض المعلوم • •
واخذ فلفل الجنيهاث العشرة • وغاب عن وعيه قى الغرزة ،
وافتقدته أصحاب السيارات • وأرسلوا لصاحب الجاراج ،
فأحضر لهم سايسا آخر •

وفى اليوم المحدد ، قبض فلفل تسعين جنيها ، كانت أصابعه
تتحسسها ، وهو يشعر بدوار • وركب اللورى • ودخل به
الميناء • ولم يترك مكان القيادة أثناء عملية الشحن • كان
مشغولا بتحسس الجنيهاث التى يمتلىء بها جيبه • بعد قليل
سوف يحصل على مائة أخرى هذه حقيقة لاشك فيها • علم
لا حلم • حياة حقيقية ، لا حكايات واعتذارات ، واهانان
وركلات ، وعلب صفيح ، وبقايا طعام وقطط • بدأت الحياة
يا فلفل • سوف تعيش ملكا • سوف يكون لك جاراج خاص
مثل مستر شنكر وأحسن • ستركب البويك • النقود معك •
الأبواب مفتوحة أمامك •

اتتهى الشحن ، وقاد فلفل اللورى ، خارجا من بوابة
الجمرك • ولكنه فوجىء برجال شريطة يعترضونه ويريدون
ايقافه وتفتيشه •

صرخ فيهم :

— لا أحد يفتش هذا اللورى •

قال له أحد رجال الشرطة :

— عندنا أوامر •

زعق فلفل :

— أنا أقول لك • ان يوسف بك ابراهيم بنفسه أمر بعدم

تفتيش هذا اللورى •

نظر اليه رجل الشرطة ، في غير فهم ، وكأن ما سمعه

لا يعنيه •

وصاح في جنوده أن يفتشوا الحمولة •

لمعت عينا فلفل بجسارة وقحة • واندفع بسيارته فجأة
مقتحما الحواجز ، وانطلقت الصفارات ، ولكنه كان يعرف كيف
يمضى في طريقه ، بسرعة لا يجروء عليها أحد • لا حواجز
ولا أبواب ، ولا أجساد تقف أمامه وتلوح له أن يقف • ولا حتى
طلقات الرصاص التي كان يسمعها • انطلق بسرعة مائة وأربعين
هادرا ساحقا كل ما أمامه الى الخارج •• حتى وجدوا جثته
ساقطة بين حطام اللورى • وحطام الترام الذى اصطدمت به •

فهرس

٧ أنت تجر أذيالها
٤٩ الرجل المناسب
٦١ قضت المحكمة بإحالة الأوراق إلى المفتى
٧٥ بيروت يا عزيزتى .. هي بيروت
٥٩ تأملات كاتب مشهور فى آخر أيامه
٩٩ الموت على طريقة فلفل



هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة» ..
وعند سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافى
كبير كما التفوا حول هذا المشروع الثقافى الضخم حتى
أصبح مشروعهم الخاص، وطلبوا باستمراره طوال العام.
واستجينا لهذا المطلب الجماهيرى العزيز إيماناً منا
بأهمية الكتاب؛ وبالكلمة الجادة العميقة التى يحتويها؛ فى
إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها
الحضارى العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة» .. أن تعيد الروح إلى
الكتاب مصدراً هاماً وخالداً للثقافة فى زمن الإبهارات
التكنولوجية المعاصرة .. وها نحن نحفل ببدء العام
السابع من عمر هذه المكتبة التى أصدرت (١٧٠٠)
عنواناً فى أكثر من ٢٠ مليون نسخة، تحتضنها الأسرة
المصرية فى عيونها وعقولها زاداً وترائلاً لا يبلى من أجل
حياة أفضل لهذه الأمة .. ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن
ومكتبة فى كل بيت.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة 2000
مهرجان القراءة للجميع



١٥٠
قرش